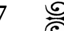
الدليل القاطع

على تحريم الاستغاثة بغير الله

مقدمة

هذه الرسالة على إيجازها تتضمن استدلالات جديدة وقوية جدا لا يمكن للمخالف أن يحيد عنها أو أن يردها. وقد حرصت فيها على ما أسميه عادة بالرد المتفن. والفضل في ذلك لله وحده.

ومن خلال المقدمة أعلن إطلاق التحدي لكل صوفي أو حبشي أو رافضي أن يرد على هذه الأدلة ويبطلها أو يقبل المناظرة حولها في أي مكان يريد في قناة أو عالم التخاطب الصوتي العنكبوتي (PALTALK).

وقد قسمتها إلى قسمين:

الأول يتضمن الأدلة على تحريم الاستغاثة بغير الله.

والثاني يتضمن الرد على أهم ما عند المخالف من شبهات حول الاستغاثة بغير الله.

أما الأدلة من القرآن فهي كثيرة وسوف أجملها في صفحة أو صفحتين ثم أقوم بذكر الأدلة من السنة بشيء من التفصيل والتعليق.

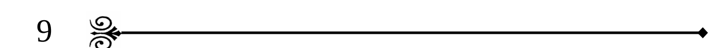
ثم ذكرت الأدلة العقلية التي تكون تبعا وطائعا لأدلة الكتاب والسنة.

وبعدها قمت بإيراد اهم أقوال العلماء المعتبرين عند المخالفين في تحريم الاستغاثة بغير الله.

ثم أوردت الأدلة اللغوية على تحريم الاستغاثة

ثم ختمت الرسالة بذكر أهم شبهات المخالفين واستدلالاتهم من السنة مع الرد عليها.

وأسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة وأن يتقبلها منا وأن يفتح لها قلوبا عميا وآذانا صما.



أدلة تحريم الإستغاثة بغير الله

لا يوجد حديث صحيح في الاستغاثة بالأموات ولا بالأحياء الغائبين

لا يوجد حديث واحد صحيح السند صريح المتن يجيز الاستغاثة بالأموات أو التوسل بالذوات، قريبين كانوا عن المستغيث بهم أو بعيدين عنه.

ولا يوجد في شرع الله ما يسمى مناداة الغائب أو طلب الحاجة منه. لأن هذا هو التشبيه بالخالق. قال تعالى (**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**).

ومن زعم أن الله أذن له فهو داخل في قوله تعالى **(أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا)**. فإن أتى بالإذن المزعوم وإلا كان انداديا يساوي المخلوق بالخالق في سماع الملايين وقضاء حوائجهم.

المشرك مشبه وإن ادعى التنزيه

وإن من صور التشبيه عند أدعياء التنزيه أنهم جعلوا الرسول مساويا مع الله في النداء بالغيب مع أن هو المتفرد بذلك كما في الحديث الصحيح:

« **أيها الناس إربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصما ولا غائبا إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم**». والحديث نص على أنه لا يجوز دعاء الغائب سواء كان حيا أو ميتا. ولا يقال إن النبي يسمع من بعيد لأنه ليس بأصم ولا غائب. لأن السميع القريب هو الله وحده.

ومن جعل معه سميعا قريبا فقد شبه بخلقه، مغرور ومع هذا فقد زين له شيطانه أنه منزه لله عما لا يليق بعيد عن التشبيه والتجسيم بتأويله الباطل للصفات المؤدي إلى تعطيل ما وصف الله به نفسه. ولو كان حريصا على تنزيه الله لكان أبعد الناس عن الشرك.

وكذلك حديث:

« يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرِكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحدٍ، فسألوني فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْألَتَهُ، مَا نَقص ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ» (رواه مسلم).

وهؤلاء جعلوا النبي مساويا لله في هذا الحديث في كونه يسمع الجميع ويعطيهم مسألتهم جميعهم في وقت واحد.

الشرك بالله تشبيه والتنزيه زخرف المشركين

إن المستغيثين بغير الله هم المشبهة لأنهم يجعلون لله أندادا. والند هو الشبيه.

والمشبه من يعتقد علم الميت بالغيب وإحاطته بملايين المتوجهين إليه مهما اختلفت لغاتهم وأمكنتهم.

فلا يغرنك من يتكلم عن تنزيه عن مشابهة المخلوقات ليعطل ما وصف الله به نفسه من الصفات. فهذا من وحي إبليس نفسه الذي أوحى له الوقوع في الشرك بدعوى محبة النبي والأولياء. وهو بذلك معطل في الأسماء والصفات مخدوع يظن أنه بتعطيله منزه لله عما لا يليق به. بينما هو دائر بين الشرك والتعطيل.

وهو قائل على الله بغير علم حين يزعم أن سماع الميت كرامة. فقد اختلف الصحابة إلى حد الاقتتال ولم يكونون يدعون نبيا ولا ملكا ولا وليا ليقضي بينهم قبل أن يقتتلوا. فهل كانوا يفضلون سفك الدماء فيما بينهم على أن يحكموا النبي فيما شجر بينهم؟

هل اتصل الصحابة بالنبي بعد موته؟

ولا شك أن الرسول ناصح أمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم. وأن الصحابة رحماء بينهم.

ولو خيروا بين القتال وبين غيره كأن يحكموا الرسول فيما شجر بينهم بما يوفر عليهم الإقتتال لسارعوا إليه.

وإلا لزم أن النبي تركهم يتقاتلون وأنهم فضلوا الاقتتال على الاتصال به والتحاكم إليه.

ولم يثبت عن عائشة أنها كانت تكلم النبي وهو في قبره، وكانت لا تزال تسكن البيت الذي كان يحوي قبر النبي صلى الله عليه وسلم؟

ولم يثبت أن أحدا من الصحابة رفع قبرا وبنى عليه جدارا وجمع الناس ليتبركوا به.

فعن أبي الهياج الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له: « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ρ ؟ أمرني أن لا أدَعَ قبراً مشرفاً (أي مرتفعاً) إلا سوّيته (بالأرض) ولا تمثالاً إلا طمستُه » (مسلم969).

وعن ثمامة بن شفي قال: « كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برُودُس فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبر فسُوّي. ثم قال: سمعت رسول الله ρ يأمر بتسويتها » [رواه مسلم رقم (968) 666/2].

- وعن عبد الله بن شرحبيل بن حسنة قال: « رأيت عثمان بن عفان يأمر بتسوية القبور، فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسُوّي » [رواه ابن أبي شيبة في المصنف 138/4 قال الألباني: وسنده صحيح].

ولهذا روي عن عمرو بن شرحبيل أنه قال عند موته: « لا ترفعوا جدثي – يعني القبر- فإني رأيت المهاجرين يكرهون ذلك » [رواه ابن سعد في طبقاته 108/6 بإسناد صحيح].

وسبب كل ذلك تعظيم القبور بما يؤدي إلى العودة إلى الجاهلية الأولى في الاستغاثة بالصالحين.

قال الحافظ « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك ». وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته [**فتح الباري 8: 668 – 669**].

الأدلة من القرآن الكريم

الدليل الأول: موضوع الشرك في القرآن هو الدعاء

(**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**). والآية صريحة في أنهم كانوا يلجئون إلى الله وحده عند الشدائد ويشركون به آخرين عندما ذهاب الخطر والشدة عنهم.

الدعاء سبب الخصومة بين الأنبياء وقومهم

فقد حكى قول إبراهيم لقومه:

(**هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُون**) [الشعراء72]. ثم عقب بعد ذلك بقوله :

(**أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ** فقال لهم أولا (**تَدْعُونَ**) ثم قال (**تَعْبُدُونَ**).

وحكى أيضا قول إبراهيم (**وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي**) .

ثم حكم الله بأن هذا الدعاء عبادة فقال: (**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**) .

ثم جعل الدعاء والعبادة في آية واحدة فقال:

(**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**) [غافر66]. وهذه الآية تدل على أن الدعاء عبادة. وهي نص على أن دعاء غير الله مناف للإسلام لرب العالمين.

الدليل: غافلون لا يشعرون لا يسمعون مشعر بتحريم دعاء الغائب

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) [الأحقاف5].

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ 20 أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل 20].

(إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ).

(غافون لا يسمعون لا يشعرون) كل هذا دليل على أن الله لم يأذن بدعاء الغائبين لا سيما إذا كانوا أمواتا.

فكيف يقول قائل: إنـهم يسمعون بإذن الله؟ مع أن الله ما أذن لغائب أو ميت أن يدعى كما نصت عليه الآيات بوضوح؟

بإذن الله زعموا

وقد زعم البعض أننا إذا ناديناهم يسمعون ويستجيبون بإذن الله. لكن الله ما أذن.

ونسأل: هل يجوز لمن مسه الضر في البحر أن يدعو غير الله ويعتقد أنه ينفع وينجي بإذن الله؟

من قال نعم ينفع بإذن الله فقد خالف صريح القرآن التي تؤكد إخلاص الدعاء لله.

قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون.

فأين هذا الإذن المزعوم والآية تطالب بدعاء الله وحده؟ من أين لكم هذا الفهم الباطل؟

هذا الفهم مخالف لهدي الصحابة وفهمهم. فإن الصحابة لم ينادوا النبي صلى الله عليه وسلم من بعيد بالرغم من كونه حيا آنذاك. فكيف جاز لمن بعدهم مناداته وهو ميت؟

وهل جهل الصحابة أن النبي صاحب معجزات؟

ولماذا لم يقولوا: النبي مؤيد بالمعجزات فيمكن أن ندعوه وهو يسمعنا بإذن الله؟

ولقد احتج إبراهيم على قومه بعدم سماع آلهتهم فقال هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُون) [الشعراء72]. ثم عقب بعد ذلك بقوله (أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ) فقال لهم أولا (تَدْعُونَ) ثم قال (تَعْبُدُونَ). مع أن آلهتهم كانت رموزا لصالحين قد ماتوا.

لا يستوي الأحياء ولا الأموات ولو كان نبيا

ومن لم يفرق بين الحياة وبين الموت فقد خالف صريح القرآن. قال تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ) [فاطر22].

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ 20 أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل 20].

والنبي فرق بيت الحياة وبين الموت فقال للتي سألته حاجة (إن لم تجديني فائت أبا بكر). ولم يقل لها فائت قبري.

وعمر فرق بين حياة النبي وبين موته. فإنه أعرض عن قبر النبي لما جمع الناس للاستسقاء. وأعلن ترك التوسل بالنبي بعد موته وتوسل بعم النبي العباس الذي قام ودعا للقوم.

الدليل الثاني: دعاء الله مخلصا من شروط لا إله إلا الله

قال تعالى: (**هُوَ الحَيّ لا إله إلا هُوَ فادْعُوه مخلصين له الدين**). وهذا شرط واضح من نقضه فقد نقض شرطا من شروط التوحيد.

الدليل الثالث: دعاء الله وحده دين

قال تعالى (**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**) [الزمر 3] وبما أننا ولا شك أننا مأمورون بالإخلاص في عبادة الله.

وقال تعالى: (**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**) [غافر14]. فنحن مأمورون كذلك بإخلاص الدعاء لله.

ونصوص الكتاب والسنة كما في الآية تصف الدعاء بأنه دين دينا والدين الخالص هو لله وحده.

وتصفه الدعاء بأنه عبادة.

الدليل الرابع: دعاء الله وحده عبادة

وقد أكد القرآن والسنة هذا التلازم بين الدعاء والعبادة كثيرا في كتابه.

هل يجوز قلب هذه الآيات لغير الله؟

وإذا سألك الناس عن محمد فإنه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه. فليستغيثوا به لعلهم يرشدون.

وقال ربكم ادعوا النبي يستجب لكم.

الدليل الخامس: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب

قال تعالى ناقلا قول المسيح (**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) (المائدة117).

فالمسيح حي منذ أن رفعه الله إلى السماء، وهو مع ذلك لم يعد رقيبا على قومه. بل خص رقابة الغيب بالله وحده.

وهنا لا بد من ملاحظة مهمة: وهي أن المعجزة لا يمكن تكون بالقياس. فمن احتج بتكلم النبي محمد مع الأنبياء يوم الإسراء والمعراج ليجيز مخاطبة الناس للنبي بعد موته فهو مبطل. وإلا فأنتم ملزمون بجواز أن تلتقوا بالأنبياء وتصلوا معهم مثلما حصل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولا يجوز الاحتجاج بالمعجزات على المشروعية. فقد فلق الله البحر لموسى، فهل يأتينا من يجيز أن يضرب البحر بعصاه اقتداء بما حصل لموسى؟!

الدليل السادس: من لا يعلم الغيب لا يخاطب بظهر الغيب

قال تعالى (**قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**) (الأنعام 50).

قال تعالى (**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**) (الأعراف188).

الدليل السابع: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم

قال تعالى (**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول**) (الحجرات2).

والسؤال: لماذا كان يرفع هؤلاء أصواتهم إذا كانوا يعلمون أنه يسمع من بعيد؟

لو كان في علمهم أن النبي يسمع من غائب ومن بعيد لما رفعوا أصواتهم حتى يسمع. ولو كان ε يجيب من بعيد لما احتاج أن يخرج إليهم ولخاطبهم كما يزعمون أنه خاطب الأعرابي في حديث العتبي المشهور.

الأدلة من السنة النبوية

الدليل الأول: قول النبي ε « الدعاء هو العبادة».

وهذا تعريف نبوي للدعاء وكل من خالف هذا التعريف النبوي فقوله مردود مهما زعم تمكنه من اللغة. فإنه إذا عُرف التفسير من جهة النبي ρ لم يحتج في ذلك إلى أقوال اللغة.

والحديث أخرجه أحمد في (المسند 267/4) والترمذي (374/5) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك490/1) وصححه الحافظ ابن حجر في (الفتح49/1) وحسنه السخاوي في (الفتوحات الربانية 191/7).

وأكدت آيات القرآن هذه الحقيقة كثيرا. قال تعالى: (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**) [غافر60]. قال السدي: أي دعائي (تفسير الطبري 51/16 الجزء 24 ص51). قال الحافظ « وضع عبادتي موضع دعائي» (فتح الباري 95/11).

وهذا دليل على أن الدعاء مستلزم للعبادة. ولا يجوز التوجه بهذا الدين وتلك العبادة إلى غير الله بعد أن قال رسول الله ε « **الدعاء هو العبادة**».

الدليل الثاني: حديث الافك ويلزمهم الطعن بالنبي

وهو دليل مهم جدا. وهو إفك من نوع آخر يتهم هذه المرة رسول الله وعائشة بما ينافي الشرف والمروءة.

فإنه يلزم من زعم أن النبي ε يسمع من يناديه من بعيد اتهام النبي وزجه عائشة بقلة الشرف وجواز أن تختلي أم المؤمنين عائشة بغريب عنها في السفر.

فقد أضاعت عائشة عقدا لها وأخذت تبحث عنه ثم مضى رسول الله ε وظن حاملو هودجها أنها بداخله ثم مضوا وتركوها. ثم وجدها صفوان حيث كان يسير دائما خلف الجيش ليتفقد مؤخرته ويحميه ممن يتربص به، ثم سار بعائشة رضي الله عنها إلى المدينة.

والسؤال الآن:

إذا كان النبي يعلم ما يحدث من حوله. ويسمع من يناديه من بعيد، ويعلم أحوال الآخرين فكان عليه على الأقل أن لا يترك عائشة وحدها. وهذا لا يليق برجل عادي فضلا عن الرسول.

ولو كان في علم عائشة وعقيدتها أن النبي يسمع من بعيد ويعلم أحوال الناس: فلماذا لم تناده من بعد؟

يلزم من ذلك اتهام النبي وعائشة بقلة الشرف وارتضاء الفساد في اهله.

ويلزم منه أن النبي ε كان يعلم ان عائشة في خلوة مع صفوان بن المعطل وسكت عن ذلك.

ويلزم منه أن عائشة كانت تفضل أن تخلو مع غير ذي محرم لها بدلا من أن تنادي الرسول من بعيد أو تقول له المدد الغوث يا رسول الله.

فهل كان رسول الله عالما بتخلفها عن الجيش؟

وهل تعلمت عائشة من النبي أنه يسمع من بعيد ويقضي حوائج المستغيثين به؟

إن قلتم نعم. قلنا: كيف يجوز للرسول أن يسكت عما لا يخفى عليه وتفضل عائشة أن يخلو بها غريب في صحراء على أن تنادي الرسول ε من بعد ليعود إليها؟

فإن قلتم بأن النبي يسمع في وقت دون آخر: قلنا فقد صار أمر سماعه في القبر احتمال. وصار الأصل هو عدم السماع. قلنا إن كان في هذا في الدنيا وهو إذ ذاك حي فكيف صار سماع الملايين في الوقت الواحد هو الأصل؟

ثم صار احتمال السماع والعلم بحال المستغيث به بعد الموت مسألة احتمال. والاحتمال لا مكان له في العقيدة.

وأنتم قد منعتم خبر الآحاد في العقيدة لأنه يفيد الاحتمال. فكيف تعتمدون هذا الاحتمال في مسألة سماع الميت؟

وإذا كانت مسألة احتمال فكيف تتركون دعاء من لا تشكون في سماعه دعاء المضطرين وتجادلون عن سماع من تعترفون بأن سماعه محتمل؟

الدليل الرابع: حديث: « إنكم لا تدعون أصما ولا غائبا»

الدليل الخامس: حديث أبي عامر

روى مسلم حديث أبي عامر الذي أرسله الرسول ρ على جيش إلى أوطاس وفيه قال: « يا بن أخي انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام وقل له يقول لك أبو عامر استغفر لي قال واستعملني أبو عامر على الناس ومكث يسيرا ثم انه مات فلما رجعت إلى النبي ρ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل وعليه فراش وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ρ وجنبيه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر رجاء له قال قل له يستغفر لي فدعا رسول الله ρ بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه ثم قال اللهم اغفر لعبيد أبي عامر حتى رأيت بياض إبطيه ثم قال: « **اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**» (رواه مسلم2948).

فلم يطلب حاجته من النبي ρ من بعيد بل أرسل رجلا يبلغ النبي ρ حاجته.

الدليل الخامس: حديث إن لم تجديني فأتي أبا بكر

حدثني عباد بن موسى حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرني أبي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن امرأة سألت رسول الله ε شيئا فأمرها أن ترجع إليه فقالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك قال أبي كأنها تعني الموت قال: **فإن لم تجديني فأت أبا بكر**» (البخاري ومسلم).

فلم يقل لها النبي ρ إذا أنا مت فتعالي إلى قبري، لا فرق بين حياتي وبين موتي. وهذا واضح في أن النبي هو الذي علمنا أن نفرق بين حياته وبين موته. فهذا حديث صريح في أنه لا يؤتى إلىالنبي بعد موته.

الدليل السادس: العقيدة العمرية في التفريق بين الحياة والموت في توسله

وبما أن النبي هو الذي فرق بين حياته وبين موته. فهذا التفريق دفع بعمر إلى ترك التوسل بالنبي بعد موته والتصريح بهذا الإعلان العمري:

« **اللهم إنَّا كنا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ε فتسقينا**».

بل إن هذا التفريق العنبوي العمري يبطل مقولة من زعم أن ترك الشيء لا يدل على تحريمه. وذلك عندما نورد له قول عمر كما في صحيح البخاري.

والنبي فرق بين حياته وموته وبه استدل عمر على تركه التوسل بعد موت النبي.

والتفريق النبوي عقيدة لا يجوز تركها بالاحتمالات.

وهل يقال إن عمر جهل أن الأنبياء أحياء في قبورهم؟

فمن هذا الكذاب الذي يدعي أنه يعلم في أمور العقيدة ما لا يعلمه عمر؟

الدليل السابع: حديث أويس القرني

قد علّم النبيُ ε أصحابَه إذا هم لقوا أويسا القرني أن يستغفر لهم كما قال « **إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس ... فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**» (رواه مسلم2543).

فقد قيّد الرسول طلب الاستغفار باللقاء. بدليل أن عمر لما طلب منه الاستغفار عندما التقى به فلما لقيه قال « إستغفر لي».

ونحن لم نحرم هذا النوع من الاستغفار للحي الحاضر. ودليلنا أيضا من الكتاب. قال تعالى (**قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**) (يوسف97).

الدليل السادس: حديث السبعين صحابيا

وأعني بهم القراء الذين غدر بهم الكفار واعتقلوهم حيث قالوا « **اللهم أبلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا**» (رواه مسلم).

فلماذا قالوا « **اللهم أبلغ نبيك**» ولم يقولوا يا رسول الله أنظر إلى حالنا أردكنا يا رسول الله المدد؟

الدليل السابع: إذا سألت فاسأل الله

قول النبي ρ « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**».

الله علمنا أن ندعو الحاضرين (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا) (يوسف).

أنّ السّلف تركوا التوسل به وسؤاله ρ بعد موته بالإجماع كما في قصة القحط عن عمر حيث قال: « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك » [**رواه البخاري في كتاب الاستسقاء حديث رقم1010**]. فإذا تركوا التوسل به بعد موته ρ فكيف يعقل أن يستغيثوا به بعد موته؟

الدليل الثامن: حديث الأعمى

وحديث الأعمى الذي يحتج به من يجيزون الاستغاثة بغير الله هو حجة عليهم. فإن الأعمى ذهب إلى النبي وطلب منه أن يدعو الله له أن يرد له بصره، ولم يتوسل به وهو في بيته. وذهاب الأعمى إلى النبي يترجم عقيدة الأعمى فإن تنقل الأعمى ومشيه مما يصعب عليه عادة.

وأما أن يقال: إن النبي علمه أن يقول يا محمد. فنقول: علمه أن يخاطب النبي وهو بين يديه.

فإن قيل فما دليلكم عليه قلنا:

أن الأعمى تعلم عقيدة عدم مخاطبة النبي من بعيد فلذلك ذهب إلى النبي وتوجه إليه في حاجته.

لو كان في حديث الأعمى جواز مخاطبة النبي من بعيد من دون فرق بين حياته ومماته: لما قال عمر « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك».

أنه ليس في حديث الأعمى ما يؤيد حجتكم أنه دعا النبي وهو بعيد عنه. وليس لكم إلا أوهام مثل قولهم « فلما خرج إلينا». وهو ليس بدليل وإنما محاولة إقناع وإيهام للبسطاء أنه دليل.

الرسول علمنا أن ندعو للأموات عند دفنهم لا أن ندعو الأموات.

وقال تعالى:

(وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ) [فاطر22]. وقال:

(وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ 20 أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النحل 20].

إذن فهؤلاء كانوا يدعون من دون الله بشرا لا حجرا. وإنما جعلوا الحجر رمزا للأولياء والصالحين.

والسؤال: هل تتحدث الآية عن بعث الأصنام إلى الحياة بعد الموت؟ لا يمكن ذلك. لأن الأصنام لا يحل بها موت ولا بعث، فإنها خارجة عن قانون الحياة والموت والبعث، ولأن الشعور يُستعمل فيمن يعقل لا في الأحجار.

لماذا ذكر المفسرون الأصنام فقط

القرآن خصص جواز طلب الدعاء من الحي الحاضر. (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا).

وما عدا ذلك فهو المحرم. وهذا من حكمة القرآن فإن المعبودات كانت أكثر من مجرد الصنم. فقد كانوا يعبدون الشجر والشمس والقمر والنجوم والملائكة وعيسى وأمه وعزير. وتخصيص المعبود بالصنم فقط غير كاف. والذين فسروا المعبودات بالصنم لم يقولوا بأنه هو المعبود فقط. بل ذكروا معبودات أخرى كالمسيح وعزير وأمه والملائكة...الخ.

ولأن قوله تعالى (أموات غير أحياء) لا يصح إضافتها إلى الأحجار التي صنع منها الصنم، إذ هي جمادٌ لا يصح وصفه بالحياة ولا بالموت. فلم يبق إلا أن يكون الكلام متعلقا بالصالحين الذي نُحِتَتِ الأصنام على صُورهم.

ثم إن (الذين) هي اسم من الأسماء الموصولة، والأسماء الموصولة من صيغ العموم عند الأصوليين والنحويين، فهي عامة في كل من دُعِيَ من دون الله. وهي لا يُخبَر بها إلا عن العقلاء لا الجمادات، ولو كان المراد بها الأصنام والحجارة لكان حق الكلام أن يكون هكذا: وهذه التي تدعونها من دونه ما تملك من قطمير. إن تدعوها لا تسمع دعاءكم ولو سمعت ما استجابت لكم.

ومن هنا قال الحافظ "وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك". وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته (فتح الباري 8: 668 – 669). فعبادة الأصنام منشؤها الغلو في الصالحين وقد بنوها لتذكرهم بالصالحين من أنبياء وأولياء. فمن خرج من الدنيا لم يعد له صلة بالأحياء. قال تعالى:

سؤال المخلوق مذموم عند النووي

قال مخالفونا: إن قول النبي « **إذا سألت فاسأل الله**» لا تعني لا تسأل أحدا غير الله. وإنما يعني الكراهية كقول النبي « **لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعام إلا تقي**».
قلت: أن ما قلتموه يوقعكم في تناقض. لأن كلامكم هذا يدل على أعلى أنكم ترون كراهية الاستغاثة بالمخلوق.

ثم إن ما أوردتموه لا يتماشى مع النص. لأن النص (إذا سألت فاسأل الله) شبيه بقوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). (إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ). (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ). (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم).

وقد صرح النووي بأن سؤال المخلوق مذموم كما في شرحه للأربعين النووية.

الأدلة العقلية

الدليل الأول: هل يسمع المخلوق ملايين المخلوقات

أن الاستغاثة بالموتى مبني على الاعتقاد بأن النبي او الولي يسمع من يناديه ولو كانوا بالملايين. يسمعهم جميعا ويقضي حوائجهم مهما كثر عددهم ومهما اختلفت أمكنتهم وتعددت ألسنتهم ولغاتهم. فهذا هو التشبيه بعينه. فإن النبي بشر مثلنا. والبشر لا يمكنهم سماع مخاطبة شخصين في وقت واحد. قال تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه).

إن قال نعم: لزمه تشبيه الخالق بالمخلوق. فلو فرضنا وجود آلاف في مصر وآلاف في العراق وآلاف في كل دولة في العالم كلهم ينادون النبي ويستغيثون به في وقت واحد: هل يمكنه استيعاب طلباتهم؟ إذا قلتم نعم وقعتم في تشبيه المخلوق بالخالق فإن الله لم يخلق مخلوقا بهذه القدرة الإلهية.

فمن يسمع الملايين من مختلف البقاع وباختلاف اللغات إلا من كانت صفته صفة الألوهية؟

وهذا يلزم منه التشبيه أيضا. لكن العجب من هذا المشبه وهو يخدع نفسه ويظن أنه نزه ربه على التشبيه حين عطل صفات الخالق وحرفها عن مواضعها ومعانيها الصحيحة.

الدليل الثاني: هل خاطب النبي الصحابة يوم تنازعهم؟

لا شك أن النبي ρ بالمؤمنين رؤوف رحيم. ولو كان له اتصال بينه وبين عالمنا لأوقف الخلاف بين الصحابة لأن دم المسلم عند نبينا أحرم من حرمة الكعبة.

ولا شك أن الصحابة من أورع الناس. وقد وقع بينهم خلاف أدى إلى سفك الدماء. ولو أنه كان اتصال ممكن بينهم وبين النبي لذهبوا إلى قبره وسألوه أن يحكم بينهم غير أنهم لم يفعلوا.

الدليل الثالث: هل خاطب النبي عائشة وقد كان قبره في بيتها

إننا نعلم أن النبي ρ قد دفن في بيت عائشة رضي الله عنها. ولم تخبرنا البتة أنها كانت تحدث النبي ويتحدث إليها بعد موته. وهي بذلك أقرب إليه مسافة ممن إذا أتوا قبره وقفوا يخاطبونه خطاب الحي للحي.

الدليل الرابع: الصحابة لم يخاطبوا النبي عام الرمادة

أن الصحابة أصيبوا بالقحط عام الرمادة. فلم يتوسلوا إلى الله بدعاء نبيهم كما كانوا يفعلون وهو حي كما صرح بذلك عمر بن الخطاب أمام جموع الصحابة،

الدليل الخامس: الأصل ان الموتى لا يسمعون وأنهم لا يستوون والأحياء

الأصل ان الموتى لا يسمعون. قال تعالى (إنك لا تسمع الموتى) والأصل أن السماء والأرض لا تتكلمان. وتكلمهما على خلاف الأصل (قالتا أتينا طائعين).

فلا يجوز الاحتجاج بما كان معجزة لأنه على خلاف الأصل. وهو مستثنى منه. وإذا سمع النبي فهو معجزة. والمعجزة تارة يعطاها وتارة لا يعطاها. فلا يحق لكم أن تجعلوه شيئا مشروعا وكأنه يتحقق لكم متى ما أردتم.

فقد صلى نبينا بالأنبياء إماما. وفلق الله البحر لموسى: فهل يجوز أن يحاول الناس اليوم فلق البحر بدليل أنه حصل لموسى؟؟

الدليل السادس: الصحيفة السجادية حجة عليهم

ولقد وصف الأحباش كتاب الصحيفة السجادية المنسوب إلى الإمام زين العابدين بن علي على انه ثابت بالإسناد المتصل عن أهل البيت.

مع انه قد ورد في الصحيفة المذكورة ما نصه:

« الحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي» (الصحيفة السجادية214).

فماذا يقول هؤلاء الآن عن هذه الصحيفة وهي تصرح بأنه لو دعا زين العابدين غير الله لم يستجب الله دعاءه؟

الأدلة من العلماء المعتبرين

أننا نجد السبكي ينقل لنا في كتاب (الطبقات92/9) شعرا لابن القماح يقول فيه :

فاضرع إلى الله الكريم ولا تسل بشراً فليس سواه كاشف الضر.

بل قال السبكي في [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] « هذه الآية تفيد العلم بأنه لا يستعان غير الله " وأكد أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص» **(فتاوى السبكي 1 / 13 طبقات السبكي 10 / 304).**

بل تتناقل كتب الصوفية عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال « أنّ أحد الصوفية استغاث بغير الله فغضب الله منه وقال: « أتستغيث بغيري وأنا الغياث »؟ (كتاب حالة أهل الحقيقة مع الله ص92):

ويقول البيهقي « ومن أسمائه الغياث ومعناه: المدرك عباده في الشدائد . قال ε في حديث الاستسقاء "اللهم أغثنا اللهم أغثنا» (الأسماء والصفات ص88.).

ويقول القرطبي عند شرح اسم الله (غياث المستغيثين) « يجب على كل مكلف أن يعلم أنه لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله» (الاسنى شرح أسماء الله الحسنى 287/1 ط: الصحابة بطنطا). فهل الله عندكم وحده غياث المستغيثين مطلقاً؟

قال الزبيدي « وقبيح بذوي الإيمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)». أضاف " ليعلم العارف أن المستحق لأن يلجأ إليه ويستعان في جميع الأمور ويعول عليه هو الواجب الوجود المعبود بالحق الذي هو مولى النعم كلها... ويشغل سره بذكره والاستغناء به عن غيره». وذكر أن إبراهيم الخواص قرأ قوله تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) ثم قال «ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله » (اتحاف السادة المتقين498/9 وانظر119/5 وإحياء علوم الدين244/4 اتحاف السادة المتقين 389/9).

كلام أبي حنيفة

جاء في الدر المختاروهو من أشهر كتب الحنفية **ونقله القدوري وغيره عن أبي يوسف** ما نصه: « قال أبو حنيفة: « لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: هو ما استفيد من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف180]. قال أبو حنيفة: « وأكره أن يقول: بحق فلان أو بحَقّ أنبيائك ورسلك » (**الفتاوى الهندية 280/5 الفقه الأكبر شرح ملا علي قاري 110**).وقال أبو يوسف: « لا يُدعى الله بغيره ».

قال المرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين: « وقد كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بحَقّ فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، إذ ليس لأحد على الله حق » (**إتحاف السادة285/2 جلاء العينين452**).

وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد. وهذا ما قاله البلدجي في شرح المختار. والقدوري في شرح الكرخي. ونقله العلائي في شرح التنوير عن التتارخانية عن أبي حنيفة. قال ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار قوله: (وكره بحق رسلك...) هذا لم يخالف فيه أبو يوسف، بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الاتقاني. أ. هـ.

وقال تحت قوله (لأنه لا حق للخلق على الخالق)« ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع فلا يعارض خبر الآحاد، فلذا والله أعمل أطلق أئمتنا المنع».

كلام المفسر الرازي والتفتازاني

قال الرازي: « اعلم أنّ الكفار أوردوا سؤالاً فقالوا: نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص كانوا عند الله من المقربين، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء لنا عند الله فأجاب الله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ) **[الزمر 43].**

أضاف:

« وتقرير الجواب: **أن هؤلاء الكفار: إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها.**

والأول باطل: **لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدور الشفاعة منها؟**

والثاني باطل: **لأن في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة إلا بإذن الله. فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن في تلك الشفاعة. فكان الاشتغال بعبادته أولى من الاشتغال بعبادة غيره » (التفسير الكبير285/26).**

وذكر الرازي:

أن المشركين « وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى».

أضاف:

قال: « ونظيره في هذا الزمان: « اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقادهم أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعاء عند الله » (التفسير الكبير59/17–60).

وذكر التفتازاني أن شرك المشركين وقع حين « مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله اتخذوا تمثالاً على صورته وعظموه تشفعاً إلى الله تعالى وتوسلاً» (شرح المقاصد للتفتازاني 4/ 41–42).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: « يا من يشكو الخلق مصائبه، ايش ينفعك شكواك إلى الخلق لا ينفعونك ولا يضرونك وإذا اعتمدت عليهم وأشركت في باب الحق عز وجل يبعدونك، وفي سخطه يوقعونك... أنت يا جاهل تدعي العلم، تطلب الخلاص من الشدائد بشكواك الخلق... ويلك أما تستحيي أن تطلب من غير الله وهو أقرب إليك من غيره» (الفتح الرباني والفيض الرحماني 117–118 و159).

وقال لولده عند مرض موته: « لا تخف أحداً ولا ترجه، وأوكل الحوائج كلها إلى الله، واطلبها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا يعتمد إلا عليه سبحانه، التوحيد، وجماع الكل التوحيد » (الفتح الرباني 373).

الأدلة اللغوية

قال الرازي « إن اشتقاق لفظ الإله من أله الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره. والمجير لكل الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى (وهو يجير ولا يجار عليه). (التفسير الكبير135/1 تفسير ابن كثير21/1).

هو مشتق من الوله لأنه يأله إليه العباد أي يفزعون إليه في أمورهم (تفسير العز بن عبد السلام88/1).

قال المناوي « فالإله هو الذي يأله إليه كل شيء أي يلجأ» (فيض القدير489/2).

قال ابن منظور في لسان العرب في بيان معنى (إله) ما يلي:

«الخلق يولهون إليه في حوائجهم ويضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم»

أضاف « يأله إلى كذا أي لجأ إليه لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كل أمر».

وقال مثله الزبيدي « وقِيلَ هو مأْخُوذٌ مِن أَلِهَ (إليه) إذا (فَزِعَ ولاذَ) لأنَّه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كلِّ أمْرٍ.

غير أن ابن منظور قال « وكانت العرب في الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام» (لسان العرب467/13).

قلت: لا ننسى قول الحافظ ابن حجر في ان أصل هذه الأصنام هو قبور الصالحين.

قال الحافظ « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك ». وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين ويتمسحون بصورته [فتح الباري 8: 668 – 669].

شبهات والرد عليها:

شبهاتـهم في القرآن

وابتغوا إليه الوسيلة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) [المائدة 35]. وجعلوا الوسيلة هنا دعاء غير الله.

وهذا باطل. فقد ورد ابتغاء الوسيلة في آيتين: الأولى هي هذه الآية. والثانية قوله تعالى (قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً 56 أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ).

هذه الآية ابتدأت بالنهي عن دعاء غير الله (قل ادعوا الذين زعمتم). وبينت أن الذين تدعونهم هم أنفسهم يتسابقون في التقرب إلى الله بعمل الطاعات وليس بدعاء غير الله. فلو كانت الوسيلة معناها دعاء غير الله لما ابتدأت آية الوسيلة الثانية بالنهي عن دعاء غير الله.

وجمهور الفقهاء على أن الوسيلة في الآية هو العمل.

قال ابن عباس والسدي وقتادة " أي تقرّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه " قال ابن كثير " وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف فيه بين المفسرين " وساق الطبري أقوالاً " حاصلها " أن الوسيلة هي التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه (تفسير بن كثير 2 / 52 – 53 . تفسير الطبري المجلد الرابع ج 6 ص 146 – 147 وانظر الدر المنثور 2 / 280 .).

ولو أنـهم إذ ظلموا أنفسهم

واحتجوا بآية: [وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوك] [النساء 64]. وزعموا أنه لا فرق المجيء إلى النبي في حياته وفي مماته.

والجواب عنها من جنس الجواب السابق. وهو أن النبي فرق بين المجيء إلى الحي وبين المجيء إلى الميت. لقوله للمرأة « فإن لم تجديني فأت أبا بكر**».**

ولقول عمر يوم الجفاف « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك ρ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا » (البخاري حديث رقم1010).

وأن عمر لما توسل بالعباس طلب من العباس أن يدعو. فهو توسل بدعاء العباس وليس بشخصه. ولهذا أدرج البيهقي رواية توسل عمر بالعباس تحت باب (الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه). ولم يقل البيهقي (بركة ذاته).

والناس لم يجيئوا في عهد عمر إلى قبر النبي وإنما جمعهم عمر إلى ناحية من نواحي المدينة.

ونزيد على ذلك:

أن سياق الآية متعلق بإعراض المنافقين عن التحاكم إلى النبي ρ وأوجبت الآية على المنافقين حينما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى طواغيت اليهود أن ياتوا إلى النبي لإعلان التحاكم إلى شرع الله.

أن فهم الصحابة للآية على خلاف فهم هؤلاء. فلو المجيء مطلقا وعند ارتكاب أي ذنب لفعلوا ذلك. فلا يجوز إحداث تأويل في آية أو حديث لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه لأنه يلزم من ذلك الطعن بهم أنهم جهلوا الحق الذي اهتدى إليه الخلوف من بعدهم، أو أنهم علموه ولكن كتموه عن الأمة.

ويلزم من هذا الفهم إلغاء دور الحج والعمر، بل يصير القبر حَرَماً يحج إليه الناس عند ارتكاب كل ذنب وأن من حج قبر النبي رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

ويلزم من ذلك أن كل من تخلّف عن هذا المجيء واعتباره منافقا مستكبرا غير مغفور له. وتأمل قوله تعالى [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] (المنافقون5). ويلزم وبما أنه لم يثبت أن أحداً من الصحابة أتى قبر النبي ρ وسأله الاستغفار دخول الصحابة في المنافقين المستكبرين وأن الله لن يغفر لهم لأنهم ما عملوا بهذه الآية، بل ثبت تركهم للتوسل به بعد موته والتوسل بغيره.

أن الآية التي تليي هذه الآية تدعو إلى التحاكم إلى النبي عند قوم الخلاف. كما قال تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا 65).

فلو كان لا فرق في الإتيان الى النبي بين الحياة والموت فلا فرق إذن في التحاكم إليه. ولكن: لماذا لم يتحاكم الصحابة إلى النبي بعد موته حين اختلفوا حتى وقع الاقتتال بينهم: هل سفك الدماء كان عندهم أهون من التحاكم إليه لو كان هناك مجالا عندهم للاتصال به والتحاكم إليه؟

هذا ما يؤكد أن المجيء إليه إنما المقصود منه في حياته وخاص بظلم التحاكم إلى غير شرعه.

شبهات الاستغاثة بغير الله من السنة

حديث الأعمى

حديث الأعمى الذي ذهب إلى النبي وقال للنبي أدع الله أن يرد لي بصري. فقال النبي ρ «إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت. فقال الأعمى : بل أدع الله لي.

- أن الأعمى لم يطلب من النبي حاجته من بعيد وهو في بيته بالرغم من مشقة المشي عليه لكونه أعمى. فذهابه إلى النبي يعلمنا عقيدة تحريم دعاء أحد من بعيد. والحديث متعلق بدعاء النبي وليس بذات النبي لقول الأعمى (أدع الله لي).

لا ننسى أن النبي هو الذي فرق بين الحياة والموت بدليل قوله للمرأة التي أتته تسأله عن حاجة « **فإن لم تجديني فأت أبا بكر**» (البخاري ومسلم). فلم يقل لها النبي ρ إذا أنا مت فتعالي إلى قبري، لا فرق بين حياتي وبين موتي. وهذا واضح في أن النبي هو الذي علمنا أن نفرق بين حياته وبين موته.

ويأتي فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبطل الاستدلال بحديث الأعمى وليثبت لنا الفرق بين حياة النبي وموته. فقد أصيب الناس في عهده بالقحط فخرج بالناس للاستسقاء ثم قال: « اللهم كنا إذا أجدبنا سألناك بنبيك ρ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا » [البخاري (1010)]. وفي رواية أنس: « كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ρ استسقوا به، فيستسقي لهم فيُسقَوْن. فلما كان في عهد عمر.. » (أخرجه الإسماعيلي كما في فتح الباري 2: 495 وابن حبان: الإحسان 228/4 رقم (2850). فلو كان الذهاب إلى النبي بعد موته لطلب الحاجة جائزا كما كان في حياته لأخذ عمر الناس إلى قبر النبي وليس إلى ضواحي المدينة ولما قال (كنا) وإنما قال (ما زلنا).

القصة الملصقة بحديث الأعمى

واما القصة الملصقة به وهي هكذا:

عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه في حاجته وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه فقال له عثمان بن حنيف ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين وقل, اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضى لي حاجتي وتذكر حاجتك حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فذكر حاجته وقضاها له وقال له ما فهمت حاجتك حتى كان الساعة وقال له ما كان لك من حاجة فسل ثم إن الرجل خرج من عند عثمان فلقى عثمان ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر إلى في حاجتي ولا يلتفت حتى كلمته في ,فقال عثمان بن حنيف ما كلمته فيك ولكنى شهدت رسول الله أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق على فقال له النبي " ائت الميضأة ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات " قال ابن حنيف والله ما تفرقنا حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط " أهـ

أن هذه القصة لم تثبت سندا فإنها جاءت من طريق ابن وهب عن شبيب بن سعيد. وابن وهب ضعيف. ولهذا لم يرتض البخاري التحديث عن شبيب من طريق ابن وهب كما صرح الحافظ (مقدمة فتح الباري ص409). وقال ابن عدي " حدث عنه ابن وهب بأحاديث منكرة" (ميزان الاعتدال362/3). وقال الحافظ في (التقريب 2739) في ترجمة شبيب " لا بأس بحديثه من روايات ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب ". بخلاف رواية أحمد عن أبيه شبيب افي حديث الأعمى والتي لم تلصق بها هذه القصة فإنها صحيحة. فإن أحمد بن شبيب ثقة وهو قد روى الحديث من دون القصة كما عند الحاكم والترمذي وعند النسائي في اليوم والليلة.

ثم إن هذه القصة فيها طعن بعثمان بن عفان وأنه يحجب بابه عن حوائج الناس. وكفى بذلك ذماً له، فقد دعا رسول الله على من يحتجب عن حوائج الناس فقال " من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم : احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة " وفي رواية " ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته " (رواه الترمذي بإسناد صحيح).

حديث خدر رجل ابن عمر

حديث ابن عمر: أن رجلا قال له أذكر أحب الناس إليك فقال: محمد وفي رواية يا محمد. ليس في ذلك استغاثة فإن المستغيث يطلب حاجته كأن يقول: يا محمد إقض لي حاجتي) ولا يقتصر على النداء.

بالرغم من ضعف إسناد هذه الرواية فإنها ليست دليلا على الاستغاثة بغير الله. لأن تفيد أن مجرد ذكر الحبيب (أعني تذكره بالذهن وذكره اللسان) يذهب خدر الرجل.

ولذلك قال النووي « وإذا طنت أذنه صلى على النبي ε وقال ذكر الله بخير من ذكرني وإذا خدرت رجله ذكر من يحبه» (المجموع 524/4). مما يؤكد على أن العلماء فهموا من الرواية ذكر الحبيب وليس الاستغاثة به وطلب ذهاب الخدر منه.

فالمحتج بهذه الرواية واقع في خطئين:

الأول: الاستدلال بما لم يصح سنده.

الثاني: تحريف معنى الحديث ومخالفة فهم العلماء الذين فهموا منه ذكر الحبيب باللسان وليس طلب الاستغاثة منه. ولذلك لم يستدل المتقدمون بهذا الحديث على جواز الاستغاثة بغير الله.

والرواية فيها أبو إسحاق السبيعي، قد اختلط بأخره. وهو مدلس وقد جاءت روايته معنعنة.

وهي على ضعفها تكون مخالفة للقرآن وللأحاديث الأصح سندا منها ومخالفة لعمل الصحابة المبنى على حسن فهمهم للكتاب والسنة إذا فهم منها جواز الاستغاثة بالغائب حيا أو ميتا.

أما القرآن فقد قال تعالى: [فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا] [الجن 18] [قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا] [الجن 20] [وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ] [يونس 106].

وأما السنة فقد قال نبي ابن عمر ρ : « إذا سألت فاسأل الله » وقال: « الدعاء هو العبادة » وهذه الآيات والأحاديث أصح سنداً من رواية ابن عمر.

وأما مخالفتها لفعل الصحابة. فإن جمهور الصحابة تركوا التوسل به ρ بعد موته وتوسلوا بعمه حين أصيبوا في عهد عمر بالقحط والجدب، فلو جاز الاستغاثة بالنبي لمجرد خدر الرجل فالاستغاثة به عند وقوع المجاعة أولى، ولو كانت الاستغاثة عند الصحابة جائزة لأجازوا التوسل به ρ. غير أن الثابت عند البخاري أنهم تركوا التوسل به بعد موته. ثبت ذلك بأدلة أصح إسناداً من الأسانيد المشكلة التي تتمسكون بها وأوضح متوناً منها. فكيف يترك الصحابة التوسل ويجيزون الاستغاثة؟ وكيف تكون الاستغاثة به بعد موته جائزة وهم لم يجيزوا لأنفسهم التوسل به بعد موته وهو دون الاستغاثة!

أن ابن عمر نفسه أصيب بالعمى وليس بخدر الرجل فقط. ولم يعرف عنه أنه استغاث بالنبي ρ فكيف يستغيث بالنبي لمجرد خدر الرجل ولا يستغيث به لما هو أعظم من خدر الرجل وهو ذهاب البصر، لو كانت الاستغاثة به جائزة لفعل.

أن الرواية ليست متعلقة بالاستغاثة وطلب الحاجة وإنما بتذكر المحبوب. وتأمل معي قول الرجل قال لابن عمر: « اذكر أحب الناس إليك » فأمره بتذكره ولم يقل له: استغث بأحب الناس إليك. فقال "محمد" أو "يا محمد" أي يا محمد أنت أحب الناس إلي. فكانت إجابة ابن عمر مطابقة لسؤال من أمره بتذكر أحب الناس إليه. وأما أن تكون استغاثة فجواب ابن عمر يكون غير مطابق لمن سأله أن يذكره ولم يسأله أن يدعوه مع الله.

ومن هذا الباب أوردها البخاري وابن تيمية وابن السني. فإن تذكر الحبيب عند الخدر كان أمراً شائعاً عند العرب، وجاءت أشعارهم بهذه العادة الشائعة في استعمال ياء النداء عند تذكر المحبوب.

قل الموصلي اللغوي المعروف:

والله ما خدرت رجلي وما عثرت إذ ذكرتكِ حتى يذهب الخَدَرُ

كيف يكيلون بمكيالين؟

في موضوع الاستغاثة بغير الله يقدم المنحرفون عن الحق قول ابن عمر على قول الله وقول الرسول وفهم الصحابة. غير أنهم في غيرها من المسائل يؤخرون قول ابن عمر إذا خالف مذهبهم.

فقد ذكر السبكي احتجاج من حرموا الشطرنج بقول ابن عمر لما سئل عن الشطرنج « هي شر من النرد».

وبعد أن صحح السبكي سند قول ابن عمر رفضه ورد عليه قائلا: « ورأي إمامنا الشافعي في قول الصحابي معروف، وقول الصحابي حجة بشرط أن لا يعارضه قول صحابي آخر، وهذا قد عارضه ما رويناه فيما تقدم ... وهذه المسألة مسألة اجتهاد، و "لعل" ابن عمر كان يذهب إلى التحريم. ثم إن هذا الأثر لم يقل (((بظاهره))) أحد من العلماء ... وإذا كان الأثر متروك (((الظاهر))) سقط الاحتجاج به » [طبقات السبكي 342/4 محققة. وهكذا نهاية كل نص لا يوافق مذهبهم: يتعرض لعملية انشطار تقسمه قسمين: ظاهر وباطن].

فانظر كيف ردوا قول ابن عمر بما عارضه من أقوال الصحابة الآخرين: فهلا ردوا قول ابن عمر بما عارضه من فعل أبيه أمام جمهور الصحابة حيث تركوا التوسل بالنبي ρ وتوسلوا بدعاء العباس في أمر هو أعظم من مجرد خدر الرجل ألا وهو وقوع الجفاف والجدب؟

لكن الصحابة لم يستغيثوا به بل تركوا التوسل به بعد موته، وهذا إسناده أصح من إسناد قصة خدر رجل ابن عمر وعليه جماعة الصحابة الذين هم أولى بالأخذ من فعل فرد يخالفهم على فرض صحّته وصحّة الاستدلال به حيث أن الأثر لا يفيد الاستغاثة أصلاً وإنما تذكر الحبيب كما قال له الرجل « اذكر أحب الناس إليك ».

أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد

عن الحارث بن حسان أنه قال « أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد »

وهذا لو صح فلا شيء فيه لأنه استعاذة بحاضر حي وكان بحضرة الرسول إذ كان حيا.

غير أن هذا الحديث جاء من روايتين: زيد بن الحباب وعفان، غير أن زيادة (ورسوله) زائدة من رواية زيد بن الحباب تفرّد بها عن عفان عن عاصم بن أبي النجود وهو صدوق كثير الخطأ كما قاله أحمد [ميزان الاعتدال 100/2] وإنما وثقوا رواية عفان. وبذلك لا تصح زيادة (ورسوله) لأن عفان رواه بدون هذه الزيادة وهو أوثق من زيد.

تنبيه مهم:

قد حسن شيخنا الألباني رواية الترمذي (سلسلة الضعيفة 373/3) وهي من طريق سفيان بن عيينة وليس من طريق عفان بن مسلم ومحمد بن مخلد الحضرمي.

وطريق سفيان ليس فيها زيادة (ورسول الله) حسب رواية الترمذي (رقم 3273) فليُتنبه لذلك حتى لا يُحتج بتحسين الألباني، ثم إن رواية أحمد عن عفان جاءت بدون زيادة (ورسول الله) وإنما الزيادة من طريق زيد بن الحباب، قال الحافظ في التقريب: (صدوق يخطئ في حديث الثوري) فرواية (أعوذ بالله) رواها حافظان ثقتان: عفان بن مسلم وسفيان بن عيينة. ورواية (أعوذ بالله ورسوله) جاءت من طريق محمد بن مخلد الحضرمي، قال ابن أبي حاتم الرازي: « سألت أبي عنه فقال: لا أعرفه » (الجرح والتعديل رقم 398) وقال الحافظ: (ضعّفه أبو الفتح الأزدي) (لسان الميزان 423/5 ميزان الاعتدال 8150).

فظهر أن رواية الإمامين: عفان وسفيان (أعوذ بالله) هي المحفوظة. وأما رواية (ورسوله) منكرة أو شاذة والله أعلم.

ثالثاً: لو جازت الاستعاذة بغير الله لجاز الحلف بغيره.

رابعاً: أن من علم معنى الاستعاذة لا يمكن أن يقول بجوازها لغير الله. فإن معناها كما فسرها الشيخ مصطفى نجا: أعتصم وأتحصّن وألتجئ إلى الله تعالى وألصق نفسي برحمته وفضله وكرمه [كشف الأسرار ص 57 مصطفى نجا]. ولهذا قال الشعراني: « ولو أن أحداً من الخلق كان يكفي أن نستعيذ به لأمَرَنا الله أن نستعيذ بمحمد ρ أو بجبريل أو غيرهما من الأكابر، ولكن عَلِمَ الله عجز الخلق عن ردّ كيده إلا مع استعاذتهم بالله عز وجل » [لطائف المنن والأخلاق في التحدث بنعمة الله على الإطلاق 583].

فهل يجيز عاقل موحد الاستعاذة بغير الله لمجرد رواية ضعيفة يحتج بها من يحرمون عادة الاستدلال بغير المتواتر في مسائل العقيدة؟

استغاثة الناس بآدم يوم القيامة

أن الناس « يستغيثون بوم القيامة بآدم ». فإن الرواية صريحة في أنهم يذهبون إلى آدم وقد بعثه الله من الموت. وهذه استغاثة بالحاضر الحي القادر، وقد كان الصحابة يأتون رسول الله ρ ويطلبون منه في حياته أن يدعو الله. لكن نفي آدم والأنبياء قدرتهم على الإغاثة وقولهم (لست لها) حجة عليكم فإنه يدل على أن الأنبياء لا يقدرون دائماً على إجابة ما يطلبه الناس منهم. فلما قال لهم آدم (لست لها) تركوه وتوجهوا إلى غيره من الأنبياء لافتقاد شرط القدرة على الإغاثة.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

استدلالهم برواية في صحيح البخاري (حديث رقم963) تتضمن بيتا من الشعر وفيه وصف أبي طالب للنبي ε بأنه (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه). فهذا كما قالوا صريح في أنه يجوز التوسل إلى الله بوجه النبي وليس فقط بدعائه.

الجواب:

ولكن القائل لهذا البيت من الشعر هو أبو طالب.

ونسأل: هل بلغ بكم العجز بأولئك مبلغه فلم يجدوا شيئا صحيحا صريحا من قول النبي ولا أصحابه حتى لجأوا إلى أبي طالب ليؤيدوا عقيدتهم به؟

ولهذا يدلس بعضهم فيخفي هوية القائل بأنه أبو طالب ويكتفي بأن يقول: « والرسول هو الذي قال فيه القائل». خوفا من أن يكتشف الناس أن القائل هو أبو طالب عم النبي والذي أصر على الموت على ملة عبد المطلب.

وأعجب أن يستدل هؤلاء بملة عبد المطلب التي مات عليها أبو طالب!!!

إن لله ملائكة في الأرض

احتجاجهم بحديث: « إن لله ملائكة في الأرض يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدَكم عرجة بفلاةٍ من الأرض فلينادِ يا عباد الله أعينوا ».

وهذا الحديث ضعيف: فيه أسامة بن زيد الليثي قال الحافظ في التقريب (317) "صدوقٌ يَهِم" وقال أحمد: ليس بشيء، وقال عبد الله لأبيه أحمد: أراه حسن الحديث فقال أحمد: إن تدبرت حديثه فسوق تعرف فيه النكرة. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثة ولا يُحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي. وتركه ابن القطان ويحيى بن سعيد وقال: « اشهدوا أني قد تركتُ حديثه » [تهذيب التهذيب 209/1]. وقد وثقه آخرون كالدارمي وابن عدي ووثقه ابن شاهين وزاد ابن حبان "يخطئ".

وحتى لو فرضنا صحته فإنه محكوم عليه بالشذوذ لمخالفته صريح كتاب الله [وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ] [الإسراء 67]، ولا فرق بين الأرض الفلاة وبين البحر، وتتعارض وقوله: [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ] [الأنعام 63، 64] فالآية تؤكد أن الله وحده هو المنجي لعباده في البر والبحر، ويأبى هؤلاء إلا الشرك وردّ كتاب الله وما صحّ من سنة نبيه ρ بهذه الروايات المعلولة. أفيجوز أن يأتي جواب رسول الله على الآية: نعم هناك غير الله من ينجي في البر والبحر إذا قال لهم « أغيثوني »!!!

ومحكوم عليه بالشذوذ لمخالفته ما صح عند البخاري من ترك عمر والصحابة جميعا قبر النبي عندما أصابتهم مجاعة وليس فقط عرجة. ولم يتوجهوا لا إلى قبر النبي ولا إلى الملائكة.

من شبهاتهم في السنة حول التوسل:

كان يرى للعباس ما يرى الوالد لولده

استدلالهم بما رَواهُ الحاكِمُ في المستَدْرَكِ أنَّ عُمرَ رَضِيَ الله عَنْهُ خَطَب النَّاسَ فقالَ: "أيُّها النَّاسُ إنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كانَ يَرَى للعَبّاس مَا يَرَى الولَدُ لِوَالدِه، يُعَظِّمُهُ ويُفَخِّمُهُ ويَبَرُّ قسَمَهُ، فاقْتَدُوا أيُّها النّاسُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم في عَمّهِ العبَّاس واتّخِذُوه وسِيلةً إلى الله فِيما نَزَلَ بكُم».

قالوا: « يُفهَمُ من هذا أن توسُّلَ عمر بالعبَّاس كانَ لرعايةِ حَقّ قرابتِهِ مِن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم».

والجواب:

أنه قد اجتمع في العباس المكانة والدعاء. ونحن نعترف بالمكانة مع الدعاء وأنتم تتجاهلون الدعاء الذي يثبت أن التوسل يكون بدعاء المتوسل به لا بذاته ولا بمكانته فقط. وأما التوسل بالذوات فقد منعه أبو حنيفة وخصه العز بن عبد السلام بالنبي فقط دون غيره وأنتم أطلقتموه في الجميع وخالفتم أبا حنيفة والعز بن عبد السلام.

وأما ما ينقل عن الحافظ أنه قال « يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح ». فإن الشفاعة عند الحافظ معناها الدعاء. بدليل ما نقله واستحسنه الحافظ نفسه من كلام الحافظ ابن عبد البر أن يونس بن عبد الأعلى كان ممن « يستسقى بدعائه» (تهذيب التهذيب11/387).

وأدرج البيهقي رواية توسل عمر بالعباس تحت باب (الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه). ولم يقل البيهقي (بركة ذاته).

والشفاعة معناها الدعاء كقول الأعمى (اللهم شفعه فيّ) وكان قد سأل النبي قائلا (أدع الله أن يرد لي بصري) فقال له النبي (إن شئت دعوت لك وإن شئت صبرت ولك الجنة) فقال الأعمى (بل أدعه).

وقال النبي ومعنى الشفاعة الدعاء . فعن أنس وعائشة عن النبي ε قال « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه ». وفي رواية ابن عباس « ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه». وفي رواية « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شُفّعوا فيه».

والمصلون على الميت يدعون له وليست شفاعتهم للميت لمكانتهم وإنما بدعائهم وصلواتهم.

حديث: اللهم أسألك بحق السائلين عليك

حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري ثنا الفضل بن الموفق أبو الجهم ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ε « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة».

والحديث فيه عطية العوفي في روايته وهَن وقد ضعّفوه وهو مشهور بضعفه وتشيعه وتدليسه عند المحدثين (انظر تقريب التهذيب للحافظ ترجمة رقم (4616). وقد وصفه الحافظ بأنه مشهور بالتدليس القبيح (طبقات المدلسين50/1).

ومن تدليسه قوله « حدثني أبو سعيد» فيظن الظان أنه يروي عن أبي سعيد الخدري. إنما هو يروي عن أبي سعيد الكلبي.

قال الزبيدي « إنما ضعفوه من قِبَل التشيع ومن قبل التدليس» (إتحاف السادة المتقين 88/5). قال الذهبي « قال أحمد والنسائي وجماعة: ضعيف، وقال سالم المرادي كان عطية يتشيَّع» (ميزان الاعتدال 3: 79 تهذيب التهذيب 7: 224). وذكره النووي في (الأذكار ص58 باب ما يقول إذا توجه إلى المسجد) من روايتين في سند الأولى وازع بن نافع العقيلي: قال النووي (متفق على ضعفه) وفي سند الثانية (عطية العوفي) قال النووي « وعطية ضعيف». وكذلك صرح جمع من الحفاظ بضعفها كالحافظ المنذري في الترغيب (459/3).

ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر

ذكرَ الحافظُ الخطيبُ البغداديُّ في تاريخ بغدادَ عن الحسنِ بن إبراهيم الخَلالِ أنه قال: "ما همَّني أمرٌ فَقَصَدتُ قبرَ موسى بن جعفرٍ فتوسَّلتُ به إلا سَهَّلَ الله تعالى لي ما أحبُّ" اهـ.

الجواب:

هذه الرواية ضعيفة وآفتها أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي مختلط في روايته. كما صرح به ابن الصلاح في علومه (من رمي بالاختلاط 52/1 وكتاب المختلطين 6/1).

ثم إن قبر رسول الله خير من قبر موسى بن جعفر. وقد ترك عمر التوسل به أمام جماهير الصحابة. ورواه عنه البخاري.

ونهى مالك أن يقال زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم. حكاه عنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري 3 / 66 وانظر الذخيرة للقرافي 375/3). فكيف بمن يقول ذهبت إلى القبر لأطلب حاجتي؟

كان بي جرب عظيم فتمسحت بقبر الحسين

أخبرنا ابن ناصر قال أخبرنا المبارك بن عبدالجبار قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد العتيقي قال سمعت أبا بكر محمد بن الحسن بن عبدان الصيرفي يقول سمعت جعفر الخلدي يقول: « كان بي جرب عظيم فتمسحت بتراب قبرالحسين فغفوت فانتبهت وليس علي منه» (المنتظم لابن الجوزي346/5).

يحتج به الشيعة ليجيزوا به التمسح بالتراب وبالقبور. وهذا فيه مفاسد عديدة. فإنه يسد باب الرزق على المستشفيات والأطباء.

ولو كان في التمسح بالقبور وبالتربة شفاء فلماذا يذهب أيها الشيعة مرجعكم الكبير السيستاني إلى لندن للعلاج؟ ألم يكن يكفيه أن يتمسح بتراب قبر الأئمة ليكون قدوة في ذلك لعامة شيعته؟ أم لعله كان في زيارة سرية سياسية وكان العلاج من باب التقية!!!

أولا: نحن لا نعدل بأصحاب النبي ع أحدا. وقد أقروا بالإجماع على ترك التوسل بالنبي ع بعد موته عندما بينه عمر بن الخطاب كما في البخاري (1010).

ثانيا: أنه على فرض صدق ووثاقة جعفر الخلدي فإنه لا يروي لنا رواية وإنما يفعل فعلا منبثقا من عقيدته الفاسدة التي تجعله يتداوى بالتراب كما يتداوى النصارى بالصليب.

ثالثا: إذا كان تراب قبر الحسين ينفع ويشفي فلماذا سارع السيستاني القدوة عندكم إلى تركه والذهاب إلى لندن للعلاج؟ نرجو من الرافضة أن يطالبوا السيستاني الذي ذهب إلى لندن للعلاج أن يتذكر تراب قبر الحسين. أم أنه جربه فلم ير فيه ما ينفعه شيئا؟

لعل جعفر هذا مبتلى بما هو شر من الجرب وهو التصوف الذي كان رأسا فيه. وكان قد طلب الحديث ثم نهاه الصوفية عن الاشتغال بطلب الحديث فطاوعهم وتركه.

يقول الشافعي: « لو أن رجلاً تصوف أول النهار، لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق، وما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً » ويقول: « أُسِّسَ التصوف على الكسل » [**تلبيس إبليس لابن الجوزي 320 و371**].

جاء في الوافي بالوفيات « وكان المرجع إليه في علم القوم وتصانيفهم وحكاياتهم وثقه الخطيب قال إبراهيم بن أحمد الطبري سمعت الخلدي يقول مضيت إلى عباس الدوري وأنا حدث فكتبت عنه مجلسا وخرجت فلقيني بعض الصوفية فقال إيش هذا فأريته فقال ويحك تدع علم الحرق وتأخذ علم الورق ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد إلى عباس توفي في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين» (الوافي بالوفيات109/11).

وكان ملازما للجنيد الصوفي الجلد ورأسا في التصوف.

ومعروف ما عند ابن الجوزي من غرائب الحاكيات. وهذه منها.

قال الحافظ: « وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح لهذه الأصنام، ثم تبعهم من بعدهم على ذلك » وذكر أنهم كانوا يتبركون بدعاء سواع وغيره من الصالحين. فلما مات منهم أحدٌ مثّلوا صورته وتمسحوا بها. فيعبدوها بتدريج الشيطان لهم [فتح الباري 8 : 688 – 669].

قال المرداوي: « ولا يستحب التمسح بالقبر على الصحيح من المذهب» (الإنصاف4/53).

قال ابن قدامة في المغني: « ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبي ρ ولا تقبيله قال أحمد: ما أعرف هذا. قال ابن الأثرم: رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبي ρ يقومون من ناحية فيسلّمون » [المغني 3/559 الفروع 2/573 وفاء الوفا 4/1403].

بل هذا يخالف ما ذهب إليه كبار الصوفية. فقد قال الغزالي: « ولا يمس قبراً ولا حجاراً فإن ذلك من عادة النصارى » وقال أيضاً: « فإن المس والتقبيل للمشاهد من عادة اليهود والنصارى » [إحياء علوم الدين1/259 و4/491].

وذكر النووي أن هذا مذهب الشافعي وجمهور العلماء [المهذب 1/139 روضة الطالبين 1/652 المجموع 5/266 و8/257 السراج الوهاج 1/114 شرح مسلم للنووي 7/41-42 العقد الثمين 186 الزواجر 1/194-195 شرح مسلم للنووي 5/11-14].

أن ابن عمر كان يتحرى الأماكن التي كان يصلي فيها النبي

الجواب: أن الغلط في الاستدلال بهذه الآثار إنما هو ناشئ عن عدم التفريق بين التبرك من جهة، وبين الاقتداء والذي منه شدة الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، حتى عهد عن ابن عمر أنه كان يوجه دابته في نفس الوجهة التي كان النبي ε يوجه دابته إليها.

فإن ابن عمر ما كان يطلب البركة بفعله هذا وإنما كان يطلب مجرد المتابعة بكل ما فعله النبي في جميع أحواله، حتى قيل إنه كان يدخل الماء في عيونه أثناء الوضوء وحتى أنه أراد الصلاة في كل مكان صلى فيه رسول الله **ε**، وما كان يلمس الأماكن التي كان يعلم أن النبي **ε** وقف أو جلس عندها.

ودليل ذلك: أن ابن عمر كان ينهى عن مس قبر النبي ε كما رواه الذهبي (قال الشيخ شعيب الأرناؤوط « رجاله ثقات» (سير أعلام النبلاء 12/ 373).

أن فهمهم لفعل ابن عمر على أنه من باب التبرك يلزم منه أن الصحابة كانوا يتبركون بالأماكن والآثار الأرضية التي كان يصلي فيها رسول الله ε أو يقعد عليها، وهذا ما لا يمكن الإتيان عليه بدليل ثابت من أقوال أصحاب النبي ε أو أفعالهم بل يرد ذلك ما ثبت سنده عن عمر أنه قد هلكت الأمم الماضية بتتبع آثار أنبيائها.

يؤكد ذلك ما رواه البخاري عن يزيد بن أبي عبيد قال « كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال فإني رأيت النبي ε يتحرى الصلاة عندها» (البخاري189/1 حديث رقم480 ومسلم364/1 حديث رقم509).

أن ما فعله ابن عمر لم يكن يفعله جماهير الصحابة بل والخلفاء الراشدون وهم مصيبون في مخالفتهم له. بل لم يوافق عليه أبوه عمر رضي الله عنه حين رأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلون فيه فقال: ما هذا؟ قالوا مكان صلى فيه رسول الله قال: « أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض». و« حين بلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ε أمر بها فقطعت» (قال الحافظ في الفتح 448/7 إسناده صحيح).

وما فعله عمر وأقره الصحابة عليه هو الصواب لا سيما وهو الخليفة الراشد الذي أمرنا رسول الله ε باتباعه فقال « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».

ولعلك تسأل هذا المخالف: متى كان فعل الصحابي حجة عندهم إذا فعل شيئاً انفرد به عن باقي الصحابة؟ فإن جماهير الصحابة موافقون لفعل عمر رضي الله عنه. فقول الصحابي إذا خالفه نظيره ليس بحجة: فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة وعن خليفتهم الذي هو أبوه!!! ولو كان هذا العمل مستحباً لسبقونا إليه.

فهؤلاء تظاهروا بتعظيم رسول الله ε بالأقوال وخالفوا أمره بالأفعال وخالفوا طريقة أصحابه الكرام، ومهما دافعوا عن بدعهم وانحرافاتهم بالأدلة الضعيفة السند فإنهم مخالفون لما كان عليه النبي ε وأصحابه.

فلم يثبت عن الصحابة احتفالهم بمولد نبيهم ε ولا أقاموا الحفلات أو ضربوا الدفوف والطبول بمناسبة مولده ولا كانت لهم طرق صوفية وإنما كانت طريقتهم الوحيدة سنة نبيهم ε ولا كانوا يدافعون عن البدعة السيئة، والله لن ينجو هؤلاء إلا أن يتمسكوا بما كان عليه النبي ε وأصحابه.

أن ابن عمر كان يضع يده على مقعد النبي

قال ابن حبان في كتابه الثقات « إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاريء يروى عن ابن عمر روى عنه حمزة بن أبى جعفر من حديث بن أبى ذويب قال رأيت ابن عمر وضع يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه».

وهذا إسناد منقطع. فأين الرواة بين ابن حبان وبين إبراهيم الذي لقي ابن عمر وروى عنه كما قال البخاري (التاريخ الكبير 297/1)؟

وهذه الأسانيد المنقطعة لا يجوز تقديمها على الأسانيد الصحيحة في النهي عن ذلك. فعن يحيى بن معين: حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه كان يكره مس قبر النبي ρ . رواه أبو الحسن علي بن عمر القزويني في أماليه والحافظ الذهبي أن ابن عمر كان يكره مس قبر النبي ρ [قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "رجاله ثقات" (سير أعلام النبلاء 373/12)].

أن أعرابيا دخل المسجد فقال: يا رسول الله جئتك مثقلا بالذنوب.

ابو علي الروذباري نا عمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن بقية إملاء نا سكر الهروي نا ابو زيد الرقاشي عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني ابو حرب الهلالي قال: « حج أعرابي فلما جاء الى باب مسجد رسول الله ε أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله فقال السلام عليك يا رسول الله ثم سلم على أبي بكر وعمر ثم أقبل على رسول الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله جئتك مثقلا بالذنوب والخطايا مستشفعا بك على ربك لأنه قال في محكم كتابه ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك بأبي أنت وأمي مثقلا بالذنوب والخطايا أستشفع بك على ربك أن يغفر لي ذنوبي وأن تشفع في ثم أقبل في عرض الناس وهو يقول:

يـا خير مـن دفنت في الأرض أعظمه   فطاب من طيبه الأبقاع والأكم

نفسـي الفـداء لقبـر أنت ساكنـه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قلت:

هذه حكاية عن مجهول، ومسائل العقيدة لا يجوز أن تكون مبنية على المجهول وعلى المنامات.

ثم إن « إسناده ظلمات بعضها فوق بعض» كما قال الحافظ ابن عبد الهادي.

والحديث رواه البيهقي في شعب الايمان 495/3)

قال النووي في الأربعين «هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح» وهو من أوهامه. فإن فيه نعيم بن حماد وهو « ذو مناكير.. ولا تركن النفس إلى رواياته» كما قال الذهبي» (سير أعلام النبلاء600/10).

ونعيم هو راوي حديث الطفيل «رأيت ربي في المنام في أحسن صورة» (السنة لابن أبي عاصم205/1).

وهذا تصريح بأن هذه رؤية منام.

وقال أبو بكر البيهقي: « فقد روي من أوجه كلها ضعيفة وأحسن طرقه تدل على أن ذلك كان في النوم» وقاله ابن الجوزي أيضا (دفع شبه التشبيه ص150).

قال ابن الجوزي « ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق، والإنسان يرى نفسه كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة» (دفع شبه التشبيه ص150).

وقال الحاكم «البخاري به احتج» (404/1) والصحيح أن البخاري روى له كما روى لغيره كما قاله الذهبي (سير أعلام النبلاء10695). والمنذري في (الترغيب292/4).

وقال الحافظ ابن حجر «صدوق يخطئ كثيرا» (التقريب7166).

وحتى وإن قال ابن كثير أن الرواية مشهورة فإن المقصود منه ما اشتهر على الناس تناقله. فرواية «أطلب العلم من المهد إلى اللحد» مشهورة وهي لا أصل لها عند أهل الحديث» وحديث «أطلب العلم ولو في الصين» مشهور كذلك لكنه لا أصل له. وهناك كتب كتبت في شأن الأحاديث المشهورة مما لم يصح إسناده مع اشتهار روايته بين الناس مثل كتاب (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة) للسيوطي.

فأبو يزيد الرقاشي وأبو علي الروذباري غير معروف وعمرو بن محمد بن عمرو بن الحسين بن بقية وسكر الهروي وأبو زيد الرقاشي ومحمد بن روح بن يزيد البصري وأبو حرب الهلالي غير معروفين عند أهل الجرح والتعديل. وأورد الذهبي في المقتنى في سرد الكنى (155/2) ولم يسمه وأشار إلى أنه لا يعرف بقوله «حكى شيئا». قال الألباني «وأرى أنه يشير إلى هذه الحكاية وهي منكرة ظاهرة النكارة» (سلسلة الضعيفة 1034/6).

ولهذا روى المقدسي هذه الرواية في المغني (298/3) بصيغة التمريض وفيه إشارة إلى ضعف الرواية.

قال الحافظ ابن عبد الهادي: إن هذا خبر منكر موضوع. وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض. فيه: الهيثم بن عدي: قال البخاري (ليس بثقة كان يكذب) قال ابو داود (كذاب) وقال النسائي وغيره (متروك الحديث).

قال ابن المديني « هو أوثق من الواقدي ولا أرضاه في شيء» (لسان الميزان 251/6 ترجمة 7977. ميزان الاعتدال 324/4 ترجمة 9311).

أحمد بن بن محمد بن الهيثم عن أبيه لا وجود له من بين المترجم لهم من الرواة المعروفين.

أبو صادق: وهو غير متحقق الاسم. فمنهم من ضبط اسمه بأسلم أو مسلم بن يزيد. ومنهم من ضبطه باسم عبد الله بن ناجذ. وحديثه عن علي مرسل. يعني لم يتحقق من روايته عن علي. (التقريب رقم 8167).

إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره (منسوب للشافعي)

أورده البغدادي في تاريخ بغداد (123/1). وهو قول منسوب إلى الشافعي زعموا أنه قال « إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم - يعني زائراً- فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تقضى».

هذه الرواية سندها إلى الشافعي مجاهيل كما حكى العلامة المعلمي. قال الشيخ الألباني في (سلسلة الضعيفة31/1) « هذه رواية ضعيفة بل باطلة».

إن عمر بن إسحاق بن إبراهيم غير معروف وليس له ذكر في شيء من كتب الرجال، ويحتمل أن يكون هو (عمرو) بن إسحاق بن إبراهيم بن حميد بن السكن أبو محمد التونسي. وقد ترجمه الخطيب (12 / 226) وذكر أنه بخاري قدم حاجا سنة (341) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فهو مجهول الحال، ويبعد أن يكون هو هذا، إذ أن وفاة شيخه علي بن ميمون سنة (247) على أكثر الأقوال، فبين وفاتهما نحو مائة سنة، فيبعد أن يكون قد أدركه» .

أقول: أنتم مطالبون بتبيين صحة سند هذه الرواية. وإلا فأنتم محجوجون بقول الشافعي « مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري» (فيض القدير 433/1). فأنتم حُطاب ليل إن لم تأتوا بالسند صحيحا. هذا من مذهب الشافعي.

أما نحن فنأتيكم بسند قوي عن الشافعي من كتبه، فقد قال « وأكره أن يعظم مخلوق حتى يُجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس» (أنظر الأم 1 / 278 المهذب 1 / 139 - 140 روضة الطالبين 1 / 652 المجموع 5 / 266 و 8 / 257) وهذا تناقض بين القول والفعل ينزه عنه الشافعي. ولو كان هذا التبرك صحيحا لقال له الناس كيف تخشى على الناس فتنة لا تخشاها على نفسك!

ولو كان الشافعي محبذا للتبرك بالقبور لما نهى عن البناء عليها وأنتم لا توافقون على ذلك وتعتبرون ما فعله أهل اليمن من هدم للبناء على القبور هدماً للقبر نفسه فاسمعوا فتوى الشافعي الموافقة لما فعله أهل اليمن:

ففي عصر الشافعي لم يكن ببغداد قبر لأبي حنيفة ينتاب الناس للدعاء عنده ألبته. وكان المعروف عند أهل العلم هدم ما يبنى على القبور وذلك باعتراف الشافعي نفسه. فقد روى عنه النووي قوله فيما يبنى على القبر « رأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك» (المجموع 5/ 298 شرح مسلم للنووي 7/ 24 الجنائز باب (32). وانظر مواهب الجليل 3/ 65).

وصرح البيضاوي بأن اليهود والنصارى كانوا يتوجهون إلى قبور صلحائهم بالصلاة والدعاء (حاشية سنن النسائي 2/ 42) وجاء في (مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر 1/ 313) النهي عن الدعاء عند القبور (وانظر حاشية ابن عابدين على رد المحتار 2/ 439 البحر الرائق 2/ 298 روح المعاني للآلوسي الحنفي 17/ 313 مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر 1/ 313) فالشافعي لا يمكن أن يشابه اليهود والنصارى. وقد روى عبد الرزاق في مصنفه

وابن أبي شيبة أن علي بن الحسين رضي الله عنه رأى رجلا يأتي فرجة كانت عند قبر النبي ε فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: « ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ε قال: لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وسلموا على فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» قال السخاوي « وهو حديث حسن» (قاله في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص228 ط: مكتبة المؤيد. وذكره البخاري في التاريخ الكبير 3/2-289 وانظر مصنف عبد الرازق (6694) ومصنف ابن أبي شيبة 2 / 375).

قبر معروف الكرخي الترياق المجرب

أورده الحافظ البغدادي في تاريخه (122/1). وهذه العبارة منقولة عن ابراهيم الحربي. قال الذهبي « يريد إجابة دعاء المضطر عنده لأن البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء كما أن الدعاء في السحر مرجو ودبر المكتوبات وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق اللهم إني مضطر إلى العفو فاعف عني» (سير أعلام النبلاء344/9).

وكلام الذهبي يلمح إلى نقد قول ابراهيم الحربي.

وقد تعجب الحافظ ابن الجوزي من هذا الغلو بقبر معروف الكرخي حتى قال " " (كشف المشكل في حديث الصحيحين دار الوطن ط: 14).

لقد أحرق الله هذا القبر الذي صار كالمسجد الحرام. فلو كان معروف الكرخي عنده شيء من الترياق وإجابة المضطر لأنقذ قبره من هذا الحريق. (أنظر البداية والنهاية95/12).

والحافظ الذهبي ذكر أن ابن عمر كان يكره مس قبر النبي ρ [قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "رجاله ثقات" (سير أعلام النبلاء 373/12)].

واللجوء إلى أعتاب القبور والأضرحة للشفاء هو ترياق الشرك المجرب الذي سبقنا قوم نوح إلى تجربته. أما ترياق الموحدين فهو المساجد والتوجه إلى السماء.

وفي الرواية محمد بن الحسين السلمي. قال محمد بن يوسف القطان " كان غير ثقة وكان يضع الحديث للصوفية" (تنزيه الشريعة103/1 وحكاه المناوي في فيض القدير 356/3 تذكرة الحفاظ1046/3 الضعفاء والمتروكون52/3 ميزان الاعتدال119/6).

ولو كان القبر ترياقا لاتخذ الصحابة قبر نبيهم ترياقا. وء لجرب الصحابة قبر نبيهم ε لكن عمر أبطل هذه الوثنية بإعلانه ترك التوسل بالنبي ε بعد موته.

وقد رأى عمر قوماً يتناوبون مكاناً يصلون فيه فقال : ما هذا ؟ قالوا مكان صلى فيه رسول الله ، قال : أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا. من أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض " وبلغه أن أناساً يأتون الشجرة التي بويع عندها النبي ε فأمر بها فقطعت (قال الحافظ في الفتح (7 / 488) " إسناده صحيح).

وهذه مهمة الأحباش تعليق الناس بالآثار جريا على سنن اليهود والنصارى. قال ابن الجوزي " وأما نهيه عن اتخاذ القبور مساجد فلئلا تعظم لأن الصلاة عند الشيء تعظيم له وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف وغيره وذلك لغلبة الجهلة وملكة العادات" (كشف المشكل50/2).

وتعقبه المقدسي فقال "قال شيخنا قصده للدعاء عنده رجاء الإجابة بدعة لا قربة باتفاق الأئمة وقال أيضا يحرم بلا نزاع بين الأئمة" (الفروع127/2).

ثم إن قبر نبينا خير من قبر معروف الكرخي ولم يستحب النبي للصحابة أن يتخذوا قبره ترياقا وهو الذي أمرهم أن يتداووا. ولذلك لم يتخذ الصحابة قبر نبيهم ترياقا.

يبدو أن قبر معروف الكرخي صار مسجدا حراما يحج إليه الناس من كل حدب وصوب ولذلك أحرقه الله تعالى. فلو كان معروف الكرخي عنده شيء من الترياق وإجابة المضطر لأنقذ قبره من هذا الحريق. (أنظر البداية والنهاية95/12).

كتب رسول الله إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت

فمات وكتاب رسول الله في يده، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً (رواه البيهقي في دلائل النبوة 175/4 والحافظ ابن عساكر في تاريخه300/25 وانظر فتح الباري260/5).

رواه ابن عساكر في تاريخه (299/25) من طريق موسى بن عقبه عن الزهري مرسلا به وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (413/5) من نفس طريق ابن عساكر به تماما. وفيه عندهما ((وجعل عند قبره مسجداً)) ولم يأت فيه وجعل على قبره مسجدا.

وهذا الأثر مرسل أرسله الزهري، والمرسل من أنواع الضعيف فلا يحتج به.

قال الامام الذهبي « مراسيل الزهري كالمعضل لأنه يكون قد سقط منه أثنان ولا يسوغ أن نظن به أنه أسقط الصحابي فقط ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله ولو أنه يقول عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم, ومن عد مراسيل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما فإنه لا يدري ما يقول. نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه.

قال أبوحاتم: « حدثنا أحمد بن أبي شريح سمعت الشافعي يقول: إرسال الزهري ليس بشيء، لأنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم».

وقال العلائي « اختلف في مراسيل الزهري، لكن الأكثر على تضعيفها قال أحمد بن أبي شريح سمعت الشافعي يقول :يقولون نحابي، ولو حابينا أحدا لحابينا الزهري، وارسال الزهري ليس بشيء» (جامع التحصيل ص90).

ثم ذكر العلائي عن الذهبي وقال يحيى بن سعيد القطان « مرسل الزهري شر من مرسل غيره لأنه حافظ، وكلما قدر أن يسمي سمى، وانما يترك من لايستجيز أن يسميه» (جامع التحصيل ص90).

وروى ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان قال « كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى ارسال الزهري وقتادة شيئا، ويقول: هو بمنزلة الريح، ويقول: هؤلاء قوم حفاظ كانوا اذا سمعوا شيئا علقوه» (كتاب المراسيل ص3).

وقال ابن معين - رواية عباس الدوري - « مراسيل الزهري ليس بشيء». وقال الشوكاني والزهري مراسيله ضعيفة» (نيل الأوطار89/9).

ثم ان هذا الحديث جاء فيه « وجعل عند قبره مسجداً» - يعني بجوار قبره - هكذا روي الأثر لا كما قالوا « على قبره مسجداً».

وقد أخطأ الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب وكتبها (على قبره) بدلا من (عند قبره).

وقوله: (عند) لا يلزم منه أن يكون عليه ، بل قد يكون القبر في ناحية والمسجد في الناحية الأخرى وبينهما جدار وحاجز أو طريق واسع ويقال هذا عند هذا، ولا يلزم منه أن يكون في حريم القبر وفنائه، وقد جاء في البخاري: عن عائشة أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: « إن أولئكِ إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئكِ شرار الخلق عندالله يوم القيامة» (متفق عليه).

فتلك الكنيسة كانت على القبر تحيط به من كل ناحية كالأضرحة الموجودة الآن، فالبناء على القبور محرم.
وأما كون المسجد عندها، بمعنى قربها لكن بفاصل من طريق ونحوه، لا بكونه ضمن سورها أو ناحية قبلتها فذلك لا يظهر فيه بأس.

وأبو جندل استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه، وعلى ذلك فليس في الأثر جواز البناء على القبور، ولو فرضنا جدلاً أن الصحابي فعل ذلك فلا يقر عليه، وليس في الأثر أن النبي أقره كما زعموا، كما أن النبي لم يقر حديثي العهد بكفر على اتخاذ ذات أنواط، جاء في حديث أبي واقد الليثي: « خرجنا مع رسول الله إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله: الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل (إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: إنكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم».
فانظر كيف جعل عليه الصلاة والسلام اتخاذ الشجرة للتبرك كاتخاذ إله آخر، وهو مثل ما يقوله هؤلاء عن القبور وتعظيم الموتى يتبين لك خطر هذه الدعوة .

فكل حديث فيه تعظيم شأن القبر بالبناء عليه وتزيينه والتعبد عنده فهو حديث ضعيف أو موضوع مثل: « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور». فهذا حديث مفترى لم يروه أحد من أهل العلم، ولايوجد في شئ من الكتب المعتمدة. والله أعلم.

لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا العباس بن محمد بن حاتم الدوري ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمر العقدي ثنا كثير بن زيد عن داود بن أبي صالح قال أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال أتدري ما تصنع قال نعم فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال جئت رسول الله ع ولم آت الحجر سمعت رسول الله ع يقول لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

قال الحاكم « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي (المستدرك550/4)، وهو من أوهامهما، فإن فيه داود بن أبي صالح وقد قال عنه الذهبي نفسه في الميزان « حجازي لا يعرف» ووافقه الحافظ في التهذيب (ميزان الاعتدال 2617 وتهذيب التهذيب 188/3) فأنى له الصحة؟
زد على ذلك الاختلاف حول كثير بن زيد نفسه فقد قال الحافظ فيه «صدوق يخطئ» وضعفه النسائي وقال ابن معين « ليس بذاك» (تهذيب التهذيب414/8 مجمع الزوائد245/5). وفيه حاتم بن اسماعيل. قال الطبراني في المعجم الأوسط (94/1) «تفرد به حاتم».
وقد أوقف السبكي في (شفاء السقام ص 152) جواز مس قبر النبي ε على صحة هذا الحديث. وهذا دليل على أنه ليس متيقناً من المسألة. واذا كان الحديث ضعيفاً فلا نترك إجماعاً حكاه عامة أهل العلم أبرزهم النووي على المنع من مس القبر.
ولقد تعقبه الهيتمي ورد عليه في (حاشية الإيضاح ص 219) قائلاً: «الحديث المذكور (يعني حديث أبي أيوب) ضعيف. فما قاله النووي- أي حكايته الإجماع على النهي عن مس القبر- صحيح لا مطعن فيه».
والحديث مع ضعفه فيه إشكال كبير يبطل الاستدلال به إذ: كيف يجعل أبو أيوب رأسه على القبر وقد كان القبر مسنماً كما عند البخاري معلقا (1390) مسوى بالأرض غير مرتفع: إذ لو فعل أبو أيوب لاضطر أن يصير على هيئة الساجد. وهل يقول عاقل أن الصحابة كانوا يسجدون لقبر النبي ε؟ وكيف يتوقع ارتفاع قبر النبي ε وقد نهى أن يبنى على القبر وبعث ε علياً أن لا يدع قبراً مرتفعاً إلا سواه بالأرض كما عند مسلم (مسلم (969) 1الترمذي (1049) أبو داود (18 32) 1النسائي 4/ 88.).

وليس وضع رأس أبي أيوب على القبر- على فرض صحته- يصلح دليلاً على التمسح بالقبر وتقبيله. فالمسح والتقبيل لم يكن من عادة أحد من الصحابة ومن ادعى العكس فعليه الدليل ولكن بشرط: أن يأتي في ذلك بسند صحيح .

والحديث مع ضعفه فيه إشكال كبير يبطل الاستدلال به وهو: كيف يجعل أبو أيوب رأسه على القبر وقد كان القبر مسوى بالأرض غير مرتفع: إذ لو فعل ذلك لاضطر أن يصير على هيئة الساجد. هل يقول عاقل أن الصحابة كانوا يسجدون لقبر النبي **ε**؟ فإن قبره لم يكن بارزاً.

يؤكد ذلك حديث عائشة « أن النبي **ε** قال في مرض موته» لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً. قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» (رواه البخاري1330).

فقولها « لأبرزوا قبره» يبطل هذه الرواية الضعيفة عن أبي أيوب.

يا رسول الله الجوع

ذكر الذهبي في ترجمة في ابن المقري: وروي عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء حضرت القبر، وقلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: أجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علوي ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شئ كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رأيته في النوم فأمرني بحمل شئ إليكم» (تذكرة الحفاظ974/3).

وذكر أيضاً في ترجمة ابن عبيد الله : قال أبو الربيع بن سالم الحافظ : كان وقت وفاة أبي محمد بن عبيدالله قحط مضر ، فلما وضع على شفير القبر توسلوا به إلى الله في إغاثتهم فسقوا في تلك الليلة مطراً وابلاً ، وما اختلف الناس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل والطين . قال ابن فرتون : ظهرت له كرامات (1371/4)

التعليق: أما الرواية الأولى فقد ذكرها الذهبي بصيغة التمريض (روي) بضم الراء وكسر الواو. ولا أعتقد أن يخفى هذا على الشيعة المتمسكين بها كالكوراني. ثم هي غير مسندة أيضا. فإن بين الذهبي وبين أبي بكر بن أبي علي ما يقارب الخمسة قرون فمن الرواة بينهما؟

ولو صح سندها لكان الحكم عليها بالشذوذ ومخالفة السلف. فإن البخاري تضمنت رواياته الأصح منها ما خالفها بإجماع الصحابة. وهو إعلان عمر أمام جموع الصحابة وفي أشد حالات الحاجة لنزول المطر ترك التوسل بالنبي بعد موته. وما كان مجمعا عليه من الصحابة فلا قيمة لما خالفه حتى لو صح سنده.

وأما الرواية الثانية: فهي من غير سند. فإن حاكيها هو أبو الربيع سليمان بن سالم مات سنة إحدى وثمانين ومئتين. أما الذهبي فقد توفي سنة ثمان وأربعين وسبعمئة. وبينهما سبع وستون وأربعمئة سنة. فأين الرواة بينهما؟

نعم الذهبي ثقة حافظ وأبو الربيع ثقة حافظ. ولكن أين الرواة بينهما؟

وهل مثل هذا يكون فيصلا للنزاع ويستحق منا أن نرمي صحيح البخاري وإجماع الصحابة من أجله؟

يا رسول الله أنا ضيفك الليلة

هذه قصة منسوبة إلى أبي الخير الأقطع. قيل بأنه كان يأنس إليه السباع والهوام. أي الحشرات.

تعليق: لا تأوي الحشرات من بق وقمل وسيبان إلى رجل إلا كان مبتلى بالجرب.

تقول الرواية عن أبي الحشرات هذا: « دخلت مدينة الرسول ε وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقا فقدمت إلى القبر وسلمت على النبي ε وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف المنبر فرأيت في المنام النبي ε وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعلي بن أبي طالب بين يديه فحركني علي وقال لي قم قد جاء رسول الله ε قال فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلي رغيفا فأكلت نصفه فانتبهت فإذا في يدي نصف رغيف» (تاريخ دمشق161/66).

وقد حكوا عن أبي الخرافة هذا أنه كان يعلم ما في قلوب البشر وما يكنونه في ضمائرهم (تاريخ الاسلام488/25).

ولماذا يعطي الرسول خبزا لهذا الجائع ولا يتصل بأصحابه فيحكم بينهم فيما اختلفوا فيه ليوفر عليهم القتل وإهراق الدماء؟
ولماذا لم يفعل السلف ما فعله أبو الخرافة هذا؟

إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس

حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا أحمد بن يحيى الصوفي ثنا عبد الرحمن بن سهل حدثني أبي عن عبد الله بن عيسى عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله ε قال « إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد أحدكم عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أغيثوني يا عباد الله أغيثوني فإن لله عبادا لا نراهم». « وقد جرب ذلك».

رواه الطبراني في الكبير (117/17) من طريق عبد الرحمن بن شريك النخعي، عن أبيه، عن عبد الله بن عيسى، عن زيد بن علي، عن عتبة بن غزوان مرفوعا.

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد 132/10) « رجال الحديث ثقات على ضعفٍ في بعضهم».

قلت: وهذا سند شديد الضعف، فيه علل:

الأول: تفرد به عبد الرحمن بن شريك وهو ابن عبد الله القاضي. وهو وأبوه ضعيفان متكلم فيهما. قال الحافظ في الأول « صدوق يخطىء» وفي الثاني «صدوق يخطئ كثيرا». ورواه الهيثمي ثم أشار الى ضعف بعض رواته (مجمع الزوائد132/10).

الثاني: فيه انقطاع بين زيد بن علي وبين عتبة. فإن زيد بن علي عن عتبة معضل، فقد ولد زيد سنة ثمانين، وتوفي عتبة سنة سبعة عشر أو عشرين على آخر الأ والمعضل هو شديد الضعف ولا يتقوى بالمتابعات كما هو معلوم.

وقال الهيثمي: رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة (مجمع الزوائد132/10). وأعله ابن حجر في تخريج الأذكار بالانقطاع أيضا، وضعفه الألباني (سلسلة الضعيفة 656).

وقد صحف محمود سيد ممدوح اسم (زيد) إلى (يزيد).

(تنبيه) وقع بعد الحديث عند الطبراني عبارة: (وقد جُرِّب ذلك).

وهذه عبارة لا يُعلم قائلها، فقد يكون صاحب المعجم، وقد يكون الراوي عنه، وربما أحد النساخ، ثم هي مبنية للمجهول، فإن كانت عن الغير فأين سندها؟

قال المناوي « قال ابن حجر حديث غريب ومعروف قالوا منكر الحديث وقد تفرد به وفيه انقطاع أيضا بين أبي بريدة وابن مسعود انتهى وقال الهيثمي فيه معروف بن حسان ضعيف قال وجاء في معناه خبر آخر أخرجه الطبراني بسند منقطع عن عتبة بن غزوان مرفوعا إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني ثلاثا فإن لله عبادا لا يراهم وقد جرب ذلك كذا في الأصل ولم أعرف تعيين قائله ولعله مصنف المعجم» (فيض القدير 307/1).

وعلى كل الأحوال فلا حجة فيها، لأن قائلها ليس من مصادر التشريع! وكذلك التجربة ليست من مصادر التشريع. فقوله والنووي والبيهقي « إنه جربه هو وبعض أكابر مشايخه» فالسنة لا تثبت بالتجربة وإنما بالسند.

وكذا ما يمكن أن يوجد من عبارة تشبهها عن أيٍّ من العلماء كائنا من كان، ولا سيما أن الحديث في العقيدة، والصنف الذي يحتج بأمور كهذه من عادته اشتراط التواتر و.. و..فكيف يحتج بالعادات والتجارب الفردية!

وهل ستتجدد عندهم أمور في الدين كل ما جاء أحد وقال: جربت كذا فصار كذا؟! ثم ألم يجربوا قول النبي ε « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»؟ أم أن هذا النوع من التجربة النبوية لا يعنيهم؟

وعلى فرض صحته فليس فيه دليل على جواز الاستغاثة بالموتى من الأولياء والصالحين، لأنه صريح أن المقصود بـ (عباد الله) خلق غير البشر، لأن وصفهم جاء بأنا (لا نراهم)، فهذا منطبق على الجن المؤمنين أو الملائكة الذين لا نراهم عادة. وقد جاء في حديث آخر تعيين أنهم طائفة من الملائكة. أخرجه البزار من رواية حاتم بن إسماعيل، عن أسامة بن زيد الليثي، عن أبان بن صالح، عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا بلفظ « إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يتساقط من ورق الشجر. فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني».

قال الحافظ كما في شرح ابن علان (151/5) « هذا حديث حسن الإسناد غريب جدا، أخرجه البزار وقال: لا نعلم يروى عن النبي ε بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه. وحسنه السخاوي في الابتهاج وقال الهيثمي « رجاله ثقات» غير أن البيهقي رواه في الشعب موقوفا. والشيخ الألباني حسن الرواية غير أنه أوقفها على ابن عباس. (أنظر سلسلة الأحاديث الضعيفة108/2 ح رقم (655).

ولكن راويه حاتم بن إسماعيل خالفه من هو أوثق منه فأوقفه، رواه البيهقي في الشعب من طريق جعفر بن عون عن أسامة به إلى ابن عباس موقوفا. فهذا أصح من الأول.

فالاستعانة بالحي المستطيع ليست شركا، وهذا معروف بين البشر، أما من الملائكة فيحتاج إلى دليل خاص لإثباته، وأثر ابن عباس قال عنه الشيخ الألباني رحمه الله « الأرجح أنه موقوف، وليس هو من الأحاديث التي يمكن القطع بأنها في حكم المرفوع، لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاها من مسلمة أهل الكتاب، والله أعلم» (انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة(655)

قلت: هذا إن ثبت عن ابن عباس، فقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف من طريق محمد بن إسحاق عن أبان أن رسول الله صلى الله عليه سلم قال.. فذكره معضلا، وابن إسحاق في رتبة أسامة في الحفظ أو أعلى، ولا سيما أن أسامة قد اختلف عليه ثقتان، فمن الواضح أنه لم يضبطه، فالصحيح الرواية المعضلة، وبهذا لا يصح الحديث مرفوعا ولا موقوفا، وتبين أن استغراب ابن حجر الشديد لمتنه كان في محله.

فائدة: قال الألباني: « ما أحسن ما روى الهروي في ذم الكلام (1/68/4) أن عبد الله بن المبارك ضل في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه أن من [ضل] في مفازة فنادى: عباد الله أعينوني! أعين. قال: فجعلتُ أطلب الجزء أنظر إسناده. قال الهروي: فلم يستجز لأن يدعو بدعاء لا يرى إسناده».

ومثله في الحسن ما قال العلامة الشوكاني في تحفة الذاكرين (ص140) بمثل هذه المناسبة: « وأقول: السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقدا أنه سنة عن كونه مبتدعا، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة؛ وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجا».

انتهى ما نقله الألباني رحمه الله، ونستفيد من كلام ابن المبارك أنه كان لا يعرف صحة الحديث، وإلا لعمل به، فهذا تضعيف متقدم من أحد كبار الأئمة.

وورد عند ابن أبي شيبة (424/10) « حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن رسول الله قال: « إذا نفرت دابة أحدكم أو بعيره بفلاة من الأرض لا يرى بها أحدا فليقل أعينوني عباد الله فإنه سيعان».

وفيه محمد بن إسحاق موصوف بالتدليس وقد عنعن هذا الخبر من السند. وقد لمز محمود سيد ممدوح الألباني فقال « وأعله الألباني في ضعيفته109/2 بالاعضال وهو خطأ لأن أبان بن صالح من صغار التابعين» (رفع المنارة226).

قلت: وهذا جهل منه فقد وصف جماعة مراسيل هذه الطبقة بالإعضال قبل الألباني، منهم الذهبي حيث قال « من أوهى المراسيل عندهم: مراسيل الحسن. وأوهى من ذلك مراسيل الزهري وقتادة وحميد الطويل من صغار التابعين، وغالب المحققين يعدون مراسيل هؤلاء معضلات ومنقطعات، فإن غالب روايات هؤلاء عن تابعي كبير عن صحابي، فالظن بمرسله أنه أسقط من إسناده اثنين» (الموقظة40).

قلت: أبان بن صالح روى عن الزهري وعن الحسن، فهما من شيوخه فإذا كان هذا الحال بالمعضلات فكيف بمرسل من يروي عنهما؟

دلوني على الطريق (قول أحمد بن حنبل)

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أحمد بن سلمان الفقيه ببغداد نا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج اثنتين راكب وثلاث ماشي أو ثلاث راكب واثنتين ماشي فضللت الطريق في حجة وكنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق قال فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق» (مسائل الإمام أحمد245/1 تاريخ مدينة دمشق298/5 البداية والنهاية326/10 شعب الإيمان128/6).

الرواية عن أحمد لا شيء فيها. فإنه يخاطب عبادا حاضرين لا يراهم كما في الرواية إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد غوثا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني ثلاثا فإن لله عبادا لا يراهم. وهو لم يناد عباد الله الذين في القبور. وعن ابن عباس مرفوعا بلفظ « إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يتساقط من ورق الشجر. فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني».

إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة

حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا الحسن بن عمر بن شقيق ثنا معروف بن حسان السمرقندي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ε « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا علي يا عباد الله احبسوا علي فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم».

رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير (217/10) من طريق معروف بن حسان السمرقندي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن ابن مسعود مرفوعا».

وهذا إسناد ضعيف جدا، وفيه أربعة علل:

معروف بن حسان: وهو واه، قال أبو حاتم في (الجرح والتعديل 323/8) «مجهول». وقال ابن عدي في (الكامل 6 / 325) « منكر الحديث. وقد روى عن عمر بن ذر نسخة طويلة وكلها غير محفوظة». وقال البيهقي: « معروف بن حسان ضعيف». (الشعب 416/3). وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد132/10) «فيه معروف بن حسان وهو ضعيف». وقال الشيخ محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب (ص 62) «معروف بن حسان منكر الحديث».

وفيه سعيد بن أبي عروبة: اختلط، قال النسائي: « من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء». ومعروف بن حسان من الصغار، ولم يسمع منه قبل الاختلاط إلا الكبار. وكان بدأ اختلاطه سنة 132 واستحكم سنة 148 أفاده البزار، ثم إن قتادة مدلس كثير التدليس، وقد روى هذا الحديث معنعناً عن أبي بريدة فلا يقبل.

ولا يخفى أن نسخة سعيد عن قتادة نسخة مشهورة؛ اعتنى الحفاظ بجمعها، فإذا انفرد راو ضعيف مثل معروف بحديث من هذه الطريق دون أصحاب سعيد كان ذلك كافيا في إسقاط الحديث الذي يرويه.

وقال الحافظ ابن حجر « في السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود» (الفتوحات الربانية لابن علان 105/5-151).

وقد استغل أحد الرافضة (محمود سعيد ممدوح) هذه العبارة من الحافظ ابن حجر وزعم أن هذا الحديث يتقوى بالطرق الأخرى التي ترفعه الى الحسن المقبول (رفع المنارة ص225).

قال ابن دقيق العيد « قولهم (روى مناكير) لا تقتضي بمجرده ترك روايته حتى تكثر المناكير في روايته وينتهي أن يقال فيه (منكر الحديث) لأن منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه».

قلت: ومعروف شهد أهل الجرح والتعديل بأنه منكر الحديث (الكامل في الضعفاء325/6 لسان الميزان61/6 المغني في الضعفاء668/2

إستسق لأمتك فإنهم هلكوا

حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال وكان خازن عمر على الطعام قال أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي ε فقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتي الرجل في المنام فقيل له إئت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقيون وقل له عليك الكيس عليك الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه

رواه ابن أبي شيبة في المصنف (356/6) والحافظ ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (489/56) والحافظ ابن عبد البر في (الاستيعاب1149/3)

وقد جاء الخبر من رواية أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح عن مالك الدار أنه قال « أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي **ε** فقال يا رسول الله إستسق لأمتك فإنهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنكم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس. فأخبر عمر، وقال: يا رب لا آلو إلا ما عجزتُ عنه».

قلت: وهذا الخبر يستدل به أهل الضلالة على دعاء الأموات من غير الله، ولا يصح لهم الاستدلال به لا رواية ولا دراية، فهو ضعيف منكر، فيه أمور:

أولا: جهالة الرجل الذي أتى إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم. وأما تسميته بلال بن الحارث المزني – أحد الصحابة – كما ورد في رواية سيف، كما في الفتح (459/2) فقد أجاب عنها العلامة الألباني رحمه الله في التوسل (ص 120) بقوله: « وتسميته بلالاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً، لأن سيفاً هذا – وهو ابن عمر التميمي – متفق على ضعفه عند المحدثين، بل قال ابن حبان فيه « يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث». ومن كان هذا شأنه لا تقبل روايته ولا كرامة، لا سيما عند المخالفة». بل رماه ابن حبان والحاكم بالزندقة (تهذيب التهذيب 295/4).

ثانيا: مالك الدار مجهول الحال، إذا شهدنا له بالثقة لم نشهد له بالضبط في روايته، وما قيل إنه خازن عمر لم يُسلّم به عند بعض الباحثين. فإن ضبط المخازن لا يحتاج الى ضبط ذاكرة بخلاف الحديث.

وقد أوهم بعضهم أن لمالك الدار صحبة للنبي ε. وهو كذب. فقد أدرج الحافظ مالك الدار في القسم الثالث من المخضرمين الذين أدركوا جيل النبي ε ولم يثبت أنهم التقوا به. قال الحافظ « القسم الثالث: من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ويمكنه أن يسمع منه ولم ينقل أنه سمع منه سواء كان رجلا أو مراهقا أو مميزا (الإصابة268/6).

وقد الخليلي وثقه في (الإرشاد313/1) ولكنه بقي على جهالة الضبط. فإنه أخبر أنه تابعي قديم متفق عليه. وقد قال « يقال أن أبا صالح السمان سمع من مالك الدار هذا الحديث. والباقون أرسلوه » (الإرشاد 316/1) فإنه يؤكد ما حكاه شيخنا الألباني من أن الإسناد فيه إرسال.

أما رواية البخاري فإنها أصح منها ولا علل فيها وهي من فعل عمر أمام الصحابة الذي عدل عن قبر النبي ε وذهب إلى البرية وتوسل بدعاء العباس أمام الصحابة. نحن لا نترك ما فعله عمر وأجمع عليه الصحابة ونتمسك بفعل رجل مجهول والراوي عنه مجهول.

ثالثا: المخالفة والإرسال، وقد صرح بذلك الخليلي في ((الإرشاد)) (316/1) فقال: « يقال: إن أبا صالح سمع مالك الدار هذا الحديث، والباقون أرسلوه». وعليه فزاد في السند علة!

رابعا: أن الأعمش ممن يجمع حديثه، وتفرد أبي معاوية عن الأعمش دون بقية أصحابه الثقات الكثر غير مقبول، ولا سيما عند من يعد هذه الحكاية أصلا في أصول الشرع!!

خامسا: الرواية ليست متواترة، وقد عاهد الشيعة والأشاعرة ألا يأخذوا بالآحاد في العقائد!

سادسا: نكارة متنه، وقد نبه على ذلك سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله في تعليقه على ((فتح الباري)) (4459/2) بقوله: صحته ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأت أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله ذلك الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك)). وليس في الخبر ما يدل على إقرار عمر للرجل على ما فعله.

قلت: لو كانوا سائلينه شيئا لسألوه القضاء فيما اختلفوا فيه توفيرا للدماء أن تراق. لكنهم لم يفعلوا.

سابعا: ليس في هذا الخبر ما ينص أن عمر عَلِمَ بفعل الرجل وذهابه للقبر واستسقائه هناك، بل ظاهر الخبر أنه إنما أخبره بالرؤيا وحسب، بدليل أنه إنما أجاب عن وصية الأخذ بالكَيْس فقط.

ثامنا: أن هذه رؤيا منام، والرؤى لا تثبت أحكاماً شرعية، اللهم إلا أن تكون رؤيا الأنبياء عليهم السلام، لأنها من الوحي، كما بينه العلماء.

فتبين أنه شديد الضعف من جهة الرواية، وأنه لو صح فليس فيه حجة للقبوريين من جهة الدراية.

وأما ما جاء في رواية سيف بن عمر الضبي أن الرجل هو بلال بن الحارث فهذا مردود: فإن سيفاً هذا زنديق بشهادة نقاد الحديث وكان يضع الأحاديث. قال ابن أبي حاتم « ضعيف» (الجرح والتعديل 278/4). ورماه ابن حبان والحاكم بالزندقة (تهذيب التهذيب 295/4).

أن البخاري اقتصر على قول عمر (ما آلو إلا ما عجزت عنه) (التاريخ الكبير 304/7 رقم 1295)، ولم يذكر مجيء الرجل إلى القبر، وهذه الزيادة دخلت في القصة وهي زيادة منكرة ومعارضة لما هو أوثق منها مما رواه البخاري في صحيحه في ترك جمهور الصحابة التوسل بالنبي إلى التوسل بالعباس.

إستنسق لأمتك (أن المستسقي هو بلال بن الحارث).

هذه الدعوى من تخرصات سيف وأباطيله. وهذه ليست أول كذبة من سيف بل قد زعم أنه صرخ وامحمداه لما رأى احمرار عظم الشاة.

- وسيفً هذا منكر الحديث فقد قالوا عنه إنه كان يضع الأحاديث، قال ابن عدي وأبو حاتم متروك الحديث وقال أبو داود ليس بشيء وقال ابن حبان يروي الموضوعات (تهذيب التهذيب 4: 295). قال ابن أبي حاتم « ضعيف» (الجرح والتعديل 278/4). ورماه ابن حبان والحاكم بالزندقة (تهذيب التهذيب 295/4).

- فيه الضحاك بن يربوع والسحيمي. قال الأزدي في الضحاك: حديثه ليس بقائم. وهو والسحيمي من المجهولين اللذين تفرد بالرواية عنهما سيف .

- إيراد ابن جرير لها وغيرها من الروايات الضعيفة والموضوعة إنما جرى فيه على جمع شتات الروايات من غير تمحيص لها. فقد قال في مقدمة تاريخه (8/1) « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة: فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا».

أن بلال بن الحارث المزني قال يا محمداه

عن بلال ابن الحارث المزني الصحابي الذي قصد قبر النبي وطلب منه ما لم تجري به العادة وتوسل به، وفيه يقول: "إن أهله طلبوا منه أن يذبح لهم شاة فقال ليس فيهنَّ شيء فألحوا عليه فذبح الشاة فإذا عظمها حُمُرٌ فقال: «يا محمداه».

ذكره ابن كثير في (البداية والنهاية104/7) وقال: « روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب».

الرواية فيها مجاهيل:

هذا سند مجاهيل. ذكر العقيلي أن هذا إسناد لا يصح لجهالة:

مبشر بن الفضيل (الضعفاء للعقيلي236/4).

شعيب بن إبراهيم الكوفي فيه جهالة (ميزان الاعتدال377/3) وفي أخباره بعض النكرة وفيه تحامل على السلف. قاله الحافظ ابن حجر وابن عدي (لسان الميزان145/3 الكامل في ضعفاء الرجال4/4).

وسيفٌ هذا منكر الحديث فقد قالوا عنه إنه كان يضع الأحاديث، قال ابن عدي وأبو حاتم متروك الحديث وقال أبو داود ليس بشيء وقال ابن حبان يروي الموضوعات (تهذيب التهذيب 4: 295). قال ابن أبي حاتم « ضعيف» (الجرح والتعديل 278/4). ورماه ابن حبان والحاكم بالزندقة (تهذيب التهذيب 295/4).

وهذه الأكذوبة من أكاذيبه تضاف إلى الأكذوبة الأخرى في أن بلال بن الحارث المزني هو القائل عند قبر النبي « إستسق لأمتك».

ثم إن قول : « يا محمداه»" ليس فيه نداء استغاثة ، ولا توسّل به صلى الله عليه وسلم ، بل غاية ما فيه أن يكون كما في التشهّد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فهو من باب استحضار المُخَاطَب لا من باب دعائه.
ويَدلّ على هذا قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه : إن الله هو السلام ، فإذا صلى أحدكم فليَقُل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض» (رواه البخاري ومسلم).

وكان شعارهم يومئذ يا محمداه (أي في حرب خالد بن الوليد)

كان شعارهم ولم يكن دعاءهم يوما من الأيام. أما الدعاء فقد بين عمر أنه إلى الله بدعاء النبي في حياته فملا مات توسل بدعاء العباس.

وهذا السند فيه مجاهيل ومناكير. رواه ابن كثير والطبري من طريق سيف وهو متروك باتفاق. (تاريخ الطبري281/2 البداية والنهاية324/6).

وقد وجدت الرواية في (فتوح البلدان99/1) بسند أجود من هذا: عبد الواحد بن غياث وحماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه... وفيه « وكان شعارهم يومئذ يا أصحاب سورة البقرة».

بي نصروا .. (قالوا محمد هو شعاركم)

عن خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه قال قدِمَتْ بكر بن وائل مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ائتهم فاعرض عليهم الإسلام والحديث طويل ومحل الشاهد منه قالوا هو شعاركم فنصروا على القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بي نصروا».

الحديث لا حجة فيه لدعاة الاستغاثة بغير الله. فإنهم اختاروا اسمه ليكون شعارا كما نقول كلمة السر. وكذلك كان شعارهم (حم لا ينصرون). (يا مبرور) و (يا عشرة) و(يا حجاج) وحتى لو ورد الشعار بلفظ (يا محمد) (كما في تاريخ الطبري93/4) فهذا ليس فيه استغاثة.

الحديث رواه الطبراني في (المعجم الكبير62/6) والهيثمي في (مجمع الزوائد211/6)

وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (رقم1512 وكتاب العلل ومعرفة الرجال ص3. بدون قولهم (هو شعاركم).

قال محقق كتاب الفضائل1045/2 « إسناده ضعيف لانقطاعه. وحفص بن مجاهد شيخ هشيم لم أجده».

فيه خلاد بن عيسى قال الحافظ العراقي « جهله العقيلي ووثقه ابن معين». وقال المناوي « ضعفوه» (فيض القدير384/3). وبعضهم قال حديثه مقارب. ولهذا قال الحافظ في التقريب « لا بأس به». وعلى الأقل مختلف في توثيقه وتضعيفه.

فأين هذه الروايات المعلولة من دعواكم أن العقائد لا يجوز فيها إلا المتواتر.

أن خبيب بن عدي صاح عندما صلبوه قائلا (يا محمد)

الحلية لأبي نعيم (246/1 وصفوة الصفوة 622/1 و666 وإتحاف السادة المتقين).

فيه الهيثم بن عدي: قال النسائي «متروك الحديث» (الضعفاء والمتروكون 104/1 ترجمة 637). وقال العجلي « كذاب وقد رأيته» (الثقات 1537).

وقال ابن عدي في (الكامل في ضعفاء الرجال 104/7) «عن يحيى قال: الهيثم ليس ثقة كان يكذب».

وكل الطرق الأخرى الصحيحة لقصة الخبيب لم تتضمن هذه الزيادة.

هذه الرواية الذميمة تجعل من كان آخر كلامه يا رسول الله دخل الجنة.

بينما رسول الله ρ يحثنا على أن يكون آخر كلامنا لا إله إلا الله.

فانظر ماذا عند أهل الشرك من مناقضة صريح التوحيد.

أن رجلا من أهل اليمن أودع أباه ثمانين دينارا

أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن طاووس أنا طراد بن محمد أنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو علي بن صفوان نا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثني أبو المصعب مطرف حدثني المنكدر بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أودع أباه ثمانين دينارا وخرج يريد الجهاد وقال له إن احتجت إليها فأنفقها إلى أن آتي إن شاء الله قال وخرج الرجل وأصاب أهل المدينة سنة، وجهد قال فأخرجها أبي فنفقها قال فلم يلبث الرجل أن قدم وطلب ماله فقال له أبي عد إلي غدا قال وبات في المسجد متلوذا بقبر رسول الله ε مرة وبمنبره مرة حتى كاد يصيح فإذا شخص في السواد يقول له دونكها يا محمد قال فمد يده فإذا صرة فيها ثمانون دينارا قال وغدا عليه الرجل فدفعها إليه».

رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (60/56). وسنده ضعيف فيه المنكدر بن محمد بن المنكدر. قال فيه الحافظ ابن حجر « لين الحديث».

ورواها ابن سعد في طبقاته وفيها الواقدي وهو متروك غير أنها أصح سندا من تلك الأولى وتضمنت ما خالفها وهو « فأخذ يدعو الله حتى أسحر».

وجاءت الرواية من طريق آخر أصح منه أيضا وتضمنت لفظا آخر يناقض الرواية الأولى وفيها « فجعل محمد يذكرها ويدعو ويتضرع إلى الله» بخلاف الرواية التي قبلها وفيها « وبات في المسجد متلوذا بقبر رسول الله» (كتاب المستغيثين بالله ص108).

وعلى تفرد ابن المنكدر فقد خالفه الإمام مالك بن أنس: « ابن بشكوال الأندلسي في (**كتاب المستغيثين بالله رقم108**) قال: أنا أبو بحر الأسدي عن أبي العباس أحمد بن عمر قال: أنا أبو ذر قال: أنا ابن شاهين نا: محمد بن عبد الله بن غيلان السُوسِي نا: محمد بن يزيد الأدمي نا: معن ، نا: مالك بن أنس» وهذا إسناد صحيح إلى مالك بن أنس. وليس فيه التلوذ بالقبر. ونرد ألفا مثل ابن المنكدر مقابل مالك بن أنس.

حياتي خير لكم تحدثون ويُحدَث لكم

حدثنا يوسف بن موسى قال نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله عن النبي قال إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام قال وقال رسول الله حياتي خير لكم تحدثون ونحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم» زاد في رواية « فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» .

رواه البزار في مسنده (508/3).

هذه الجملة جاءت زيادة على الحديث الصحيح في مسلم « إن لله ملائكة سياحين». وهي غير صحيحة. ولهذا قال البزار « وهذا الحديث آخره لا نعلمه يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد» (مسند البزار308/5 واحتج بكلامه هذا الحافظ بن كثير في البداية والنهاية275/5).

وأعلها الحافظ ابن عبد الهادي والمناوي بالإرسال (الصارم المنكي266/1 التيسير بشرح الجامع الصغير502/1).

ولذلك قال الشقيري رحمه الله « الحديث ضعفه في الجامع وشارحه وضعفه العراقي في تخريج الإحياء وهو مرسل عند جماعة فلا حجة فيه» (السنن والمبتدعات265/1).

لو كان هذا المخترع لهذا الحديث من بني إسرائيل لكان من كهانهم بسبب هذا السجع في هذه الجملة.
ولنا من هذه الرواية مواقف:

ا) الطعن في هذه الزيادة التي تفرد بها الراوي وهو عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبي رَوَّاد المرجئي على حديث « إن لله ملائكة سياحين». فقد نقل الزبيدي حكم الحافظ العراقي على الحديث بأنه « ضعيف لأن فيه عبد المجيد بن عبد العزيز، فهو وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون. ورواه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف » (المغني عن حمل الأسفار1051/2 على هامش الإحياء).

وقال فيه ابن حبان في المجروحين (2/ 205) « منكر الحديث جداً يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير: فاستحق الترك». وقال الحافظ في التقريب « صدوق يخطئ وكان مرجئاً» (4160).
وذكر الزبيدي طريقا أخرى عند ابن سعد في الطبقات عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً (إتحاف السادة المتقين 9/ 176 – 177 وانظر الإحياء 4/ 148).
ولما قاله الحافظ البزار « لم نعرف آخره يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه» وإنما رواه النسائي (رقم 1282) من دون هذه الزيادة.
والحديث ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد 9/ 24) وقال « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح».
وهذه العبارة لا تفيد صحة الإسناد أو الحديث كما هو معروف عند أهل الحديث، فلا يجوز أن يقال « صححه الهيثمي» فهذه تمويه وتلبيس على العامة، فان صحة الإسناد ليست لازمة لصحة الحديث، لا يلزم منه صحة الرواية كما بينه الحافظ في التلخيص19/3) بل بينهما مراتب، فكم من سند صحيح رواته ثقات وهو شاذ أو معلل، وشرط الحديث الصحيح أن يبرأ من الشذوذ والعلة.

2) الرواية غير متواترة أيها المطالبون باشتراط المتواتر في العقائد. بل ضعيفة لا آحاداً فقط، فانظر كيف تجاهلوا ترك عمر للتوسل بالنبي ε بعد موته، وآثروا الضعيف على المتواتر.

3) أنها تحث على الإرجاء وراويها عبد المجيد بن عبد العزيز مبتدع متهم بالدعاية للإرجاء حتى أدخل أباه فيه. وهو الذي روى الرواية الموضوعة عن ابن عباس « وما نعلم الحق إلا في المرجئة» (ميزان الاعتدال648/2 وانظر العلل لأحمد 113/2 الجرح والتعديل 46/6 تهذيب التهذيب381/6 الضعفاء الصغير للبخاري 239).

وقد شهد عليه أحمد والبخاري بأنه من غلاة المرجئة. قال « كان فيه غلو في الإرجاء». وقال أبو داود: « كان داعية في الإرجاء» (تهذيب التهذيب 381/6).

ومن المقرر عند العديد من علماء الحديث أن المبتدع إذا تفرد برواية تؤيد بدعته فإن روايته مردودة. وهذا جرح مفسر مقدم على التوثيق.

وهذا الحديث يؤيد مذهبه في الإرجاء. فإنه ما دام العمل معروضا على النبي ε فيستغفر فلا تضر المعاصي حينئذ كبيرة كانت أو صغيرة إذ جاء الاستغفار في الحديث مطلقا من سائر الأعمال السيئة.

الآثار السلوكية والأخلاقية لهذه الرواية

وكيف يقول النبي ε لابنته فاطمة « أنقذي نفسك من النار لا أغنى عنك [لا أملك لك] من الله شيئا» ثم يطمئن الزناة ومرتكبي الكبائر من أمته ويعدهم بأنه سيستغفر لهم؟

فهذا الحديث خطير من الناحية السلوكية على المسلمين إذ يثبط المحسن ويشجع المسيء وينتهي الفريقان إلى نهاية واحدة وهي تطمين الفريقين بالمغفرة واستوائهما من حيث النتيجة، أليس هذا التطمين بالمغفرة على ما يعملون شبيه بتطمين النصارى بالمغفرة على خطاياهم لمجرد إيمانهم بالمسيح؟!

ولماذا كان يأمر بإقامة الحد على المذنبين من أمته في حياته ولم يكتف بالاستغفار لهم وهم جزء من أمته؟

وإذا كان يستغفر لأمته فلماذا يدخل أفواج من أمته النار؟

4) أن الحديث إذا كان يفيد استغفار النبي ε لنا فلا يفيد جواز سؤاله لعدم فعل الصحابة ذلك ولأن القران أثبت لنا أن الملائكة حملة العرش دائمة الاستغفار للمؤمنين [فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ] ولم يقل أحد بجواز سؤالهم مع الله. والنبي ε مات وسؤال الأنبياء بعد موتهم غير جائز. ولو جاز، سؤال النبي بعد موته لاشتهر سؤال الصحابة للأنبياء السابقين، مما يؤكد أنه شرك. وكفى بالشرك مانعاً من الشفاعة .

5) أن هذه الرواية تثبت آخر مع الله في عرض الأعمال عليه. فتصير الأعمال معروضة (عليهما) لا على الله وحده. وهذا شرك يعتقده الروافض، فقد قالوا بأن قولـه تعالى [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] «أنهم الأئمة» (الكافي171/1 بصائر الدرجات442، 447، 450).

وقد وضع الكذابون من هذه الأمة الأحاديث المكذوبة في ذلك مثل حديث « تعرض علي أعمالكم يوم الخميس». أولهم: حسين بن علي العدوي، اتهمه ابن عدي والدارقطني وابن حبان بالكذب (الكامل لابن عدي945/3 المجروحين241/1 و288 سؤالات السهمي رقم284 ص211) والثاني: أبو سلمة محمد بن عبد الملك الأنصاري وهو منكر الحديث جدا لا يجوز الاحتجاج بحديثه كما قال ابن حبان (الضعفاء 96/4 المجروحين 2/ 266 ميزان الاعتدال 3/ 598).

في حين ثبت في الصحيح أن الأعمال تعرض على الله. قال ε « تعرض الأعمال في كل خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرءا كانت بينه وبين أخيه شحناء» (رواه مسلم (2565) وأحمد في المسند 2/ 268). فكيف (يغفر الله إلا) بينما يكون استغفار النبي ε مطلقا؟

6) أنها تعارض أحاديث أصح منها تنفي معرفة النبي ε بما يحدث لأمته من بعده. قال ε « ليردنّ عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول يا رب أصيحابي أصيحابى، فيقال لي: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فأقول كما يقول العبد الصالح [وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ] ».

وحين كان ε حيا لم يكن يعلم بأحوال من غاب من أمته، من ذلك قصة ضياع عقد عائشة في الصحراء، وقول أصحاب بئر معونة لما وقعوا في الغدر قالوا « اللهم بلغ نبينا» ولم يعتقدوا أنه يسمع كل واحد من أمته قريباً كان أو بعيداً.

يا سارية الجبل

هذا الأثر رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (23/20). وكل طرقه ضعيفة السند إلا من طريق ابن عجلان فإنها صحيحة وليس فيها سوى مناداته للجيش وسماع الجيش له وانتصاره بسببه. (أنظر سلسلة الصحيحة للألباني101/3).
إذا ثبتت الرواية فنقول:

أولا: هذه ليست استغاثة ودعاء لقضاء الحاجة. لأنهم لا يقولون مدد يا عمر. فلو كانوا رافضة أو أحباشا لقالوا مدد يا عمر في حروبهم.

ثانيا: هذا ليس بعجيب ممن وصفه رسول الله بأنه محدث. أي أن الله خصه بكونه ملهما. وهي كرامة لعمر ولا شك. وكرامة لمن هم في ساحة الحرب يقاتلون الكفار. وأين الصوفية من مقاتلة الكفار وهم يرقصون ويغنون في الزوايا ويبتدعون في دين الله ما لا يحصى ويقعون في الشرك؟ فهؤلاء لا كرامة لهم. فإن أولياء الله يعظمون سنة نبيهم ولا يكرم الله مبتدعا مشركا.

رابعا: الكرامة خاصة من الله لا يحتج بها لتعميم الفعل. ولم تنادي الناس فيما بينهم بظهر الغيب بناء على هذه الكرامة العمرية.

خامسا: ثالثا: أثبتوا قصصكم بالأسانيد الصحيحة قبل أن تقيسوها على قول عمر يا سارية الجبل، وهذا غير ممكن. فإننا حتى وإن وافقناكم على استدلالكم بقول عمر فإننا لا نوافقكم على هذا القياس قبل أن تثبتوا صحة أسانيد رواياتكم المفيدة علم الأئمة بالغيب.

شبهاتهم في اللغة

الدعاء ليس عندهم نهاية التذلل وإنما العبادة

ومن شبهاتهم من اللغة قولهم: « العبادة نهاية التّذلّل ». هكذا أثبتها علماء اللغة [النشرة الصادرة عن جمعية المشاريع الحبشية ص21].

ويقال لهم: لو لم يكن الدعاء نهاية التذلل لما قال النبي إذا سألت فاسأل الله. ولما قال الدعاء هو العبادة. وإذا جاء التفسير اللغوي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لأحد يقول خلاف ما قاله.

ونؤيد ذلك بقول الحافظ ابن حجر: « الدّعاء هو غاية التّذلّل والافتقار » [فتح الباري 95/11 و149]. وأن فائدة الدعاء « إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه». وقال مثله الزبيدي (إتحاف السادة المتقين 4/5]، وزاد عليه بأن وصف لفظ الدعاء يطلق ويراد به التوحيد كما في قوله تعالى: [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوه] [الجن 19]، وقوله: [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ] [الأعراف 194].

فإذا كان الدعاء غاية التذلل والافتقار وإظهار الفاقة والتضرع وهو التوحيد: فمثل هذا لا يجوز صرفه لغير الله وإلا كان شركاً.

زعمهم أن التوسل نوع من التبرك في اللغة

فقد قالوا بأن التوسلَ نوعٌ من أنواع التبركِ، وأن الرسولُ ذاتهُ مباركة وآثارُهُ أي شعرُهُ وقلامةُ ظفرهِ والماءُ الذي توضأ به ونُخامَتُهُ وريقُهُ مباركٌ، لأنَّ الصحابة كانوا يتبركونَ بذلكَ كما وَرَدَ في الصحيح.

قلت: إن كان التوسل نوع من التبرك فلماذا أجاز النبي لهم التبرك به ولم يأذن لهم في التوسل به بعد موته حتى صرح عمر بأنهم كانوا يتوسلون بدعائه فلما مات عليه الصلاة والسلام ترك عمر التوسل بالنبي ρ وتوسل بالعباس ليدعو الله لهم وهو قد دعا؟

نعم، لقد توسل عمر بالعباس فقام العباس ودعا (فتح الباري497/2). إذن كان التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته فقط.

والأعمى توسل إلى الله بالنبي ρ وطلب منه أن يدعو فدعا له النبي فقال الأعمى (اللهم شفعه في).

ومعاوية توسل بالأسود بن يزيد فدعا. قال الحافظ ابن حجر بأن « معاوية استسقى بيزيد بن الأسود أخرجه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح» (التلخيص الحبير101/2) وقال في (خلاصة البدر المنير252/1) «مشهور قاله النووي».

ولما كان أبو عامر بعيدا عن النبي ρ أرسل إلى النبي ρ من يقول له « يسلم عليك أبو عامر ويقول استغفر له».

والرسول أمرنا إذا لقينا أويسا القرني أن نسأله أن يستغفر الله لنا. ولم يأمرنا بذلك لما كان غائبا.

وقد قال رسول الله ρ « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم: بدعوتهم وصلاحهم وإخلاصهم» ولم يقل بجاههم ومكانتهم ومنزلتهم.

وكان رسول الله ρ يستنصر بصعاليك المهاجرين. وصعلوك أي فقير. قال السيوطي « كان النبي ρ يستنصر بصعاليك المهاجرين أي بدعاء فقرائهم.. ولأن انكسار خواطرهم يكون دعاؤهم أقرب للإجابة» (الجامع الصغير314/1 وفيض القدير219/5).

وكان رسول الله ρ يقول " دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه مَلَك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل: آمين، ولك بمثل» (رواه مسلم2733). قال المناوي « كلما دعا لأخيه بخير أي بدعاء» (فيض القدير525/3).

وأهل العلم كانوا يقولون « فلان كان يتبرك بفلان» ويقصدون بدعائه.

عقيدة البيهقي التوسل بالدعاء. فقد أدرج البيهقي رواية توسل عمر بالعباس تحت باب (الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه).

قال البغدادي قال كان شيخنا أبو عامر الأزدي من أركان مذهب الشافعي بهراة وكان إمامنا شيخ الإسلام يزوره في داره ويعوده في مرضه ويتبرك بدعائه» (التقييد442/1 سير أعلام النبلاء34/19).

وذكر الذهبي أن الأصبهاني وهو صاحب ابن المقري ممن « يتبرك بدعائه» (تذكرة الحفاظ1212/4 سير أعلام النبلاء17/19).

وقال عبد الغافر بن إسماعيل عن أبي حفص ابن سرور الماوردي « كانوا يتبركون بدعائه» (سير أعلام النبلاء12/19).

وقال ابن حبان عن أبي زرهة « كان مستجاب الدعوة يقال إن الحصاة كانت تتحول في يده إلى تمرة بدعائه (الثقات247/6 تهذيب التهذيب61/3).

نقل الحافظ ابن حجر عن أبي عمر الحافظ ابن عبد البر أن يونس بن عبد الأعلى ممن « يستسقى بدعائه» (تهذيب التهذيب387/11).

وروى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن أبي الحواري قال « كنا نتبرك بدعاء أيوب بن أبي عائشة» (تاريخ دمشق109/10).

وروى الذهبي عن يحيى بن معين أنه قال عن أحمد بن أبي الحواري « أهل الشام به يمطرون» قال شعيب الأرناؤوط « أي بدعائه كما فعل عمر حين استسقى بالعباس» (سير أعلام النبلاء87/12).

قال ابن كثير عن الشيخ سالم البرقي « يقصد للتبرك بدعائه» (البداية والنهاية313/13).